

السنابل
مغامرات شرلوك هولمز
العصابة المرقطة
وقصتان أخريان



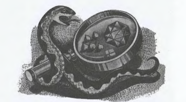


مغامرات شرلوك هولمز



العِصَابَةُ المُرَقَّطَة

وَقِصَّتَانِ أُخْرَيَانِ



تأليف : آرثر كونان دويل

إعداد : يعقوب الشاروني

رسوم : عبد الشافي سيد

مكتبة لبنان

بيروت

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠١ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٥٩-٦

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة



اَلعِصـــابَةُ ٱلمُرَقَّطَـةُ

- ١ -

كانَتْ قَضِيَّةُ «ٱلعِصابَةِ ٱلمُرَقَّطَةِ» مِنْ أُوْلَى ٱلقَضايا ٱلَّتي ٱسْتَطَعْتُ، أَنا ٱلدُّكْتور واطْسُن، أَنْ أُساعِدَ فيها صَديقي شِرْلُوك هُولمز.

كانَ ذٰلِكَ مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ، عِنْدَما كُنْتُ أَنا وَهُولمز نُقيمُ مَعًا في شَقَّةٍ واحِدَةٍ، وَقَدْ وَعَدْتُ يَوْمَها أَنْ أَحْتَفِظَ بِسِرِّ ٱلحِكايَةِ كُلِّها. لٰكِنِ ٱلآنَ، وَقَدْ تُوُفِّيَتِ ٱلسَّيِّدَةُ صاحِبَتُها، أَرى أَنَّ مِنْ حَقِّ ٱلنّاسِ أَنْ يَعْرِفوا ٱلحقيقةَ. لَقَدْ حاوَلوا ٱسْتِنْتاجَ سِرِّ وَفاةِ ٱلدُّكْتور غريمْسْبي رُويْلُوت، وَلٰكِنَّ ٱسْتِنْتاجاتِهِمْ كانَتْ أَبْعَدَ ما تَكونُ عَنِ ٱلحَقيقَةِ.

فَفي أَوائِلِ شَهْرِ أَبْريل (نَيسانَ) سَنَةَ ١٨٨٣، ٱسْتَيْقَظْتُ فَجْأَةً، لِأَجِدَ شِرْلُوك هُولمز واقِفًا بِجِوارِ فِراشي. وَلَمْ تَكُنِ ٱلسّاعةُ قَدْ تَجاوَزَتِ ٱلسّابِعَةَ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ في دَهْشَةٍ، فَقالَ: «يُؤْسِفُني جِدًّا أَنْ أُوقِظَكَ.»

فَسَأَلْتُهُ: «ماذا حَدَثَ؟! حَريقٌ؟!»

أَجابَ: «لَقَدْ جاءَتْني ٱلآنَ سَيِّدَةٌ شابَّةٌ تَبْدو عَلَيْها عَلاماتُ ٱلتَّعاسَةِ. إِنَّ سَيِّدَةً شابَّةً في مِثْلِ سِنِّها تَجْتازُ شَوارِعَ لَنْدَن في هٰذِهِ ٱلسّاعَةِ ٱلمُبَكِّرَةِ لِتَأْتِيَ إِلى هُنا، يَعْني أَنَّها تُريدُ أَنْ تُحَدِّثَني في أَمْرٍ بالِغِ ٱلأَهَمِّيَّةِ. وَأَظُنُّ أَنَّهُ تَروقُكَ مُعاوَنَتي في قَضِيَّتِها. هَيَّا مَعي ٱلآنَ لِنَسْمَعَ ما سَتَقولُهُ.»

نَهَضْتُ عَلى ٱلفَوْرِ مِنْ فِراشي قائِلًا : «لَنْ يَفوتَني هٰذا بِٱلطَّبْعِ يا زَميلِيَ ٱلعَزيزَ .»

كانَتْ سَعادَتي ٱلكُبْرى أَنْ أُساعِدَ هُولمْز في عَمَلِهِ ٱلبوليسِيِّ . وَقَدْ تابَعْتُ عَمَلَهُ في أَكْثَرَ مِنْ سَبْعينَ قَضِيَّةً خِلالَ ٱلسَّنَواتِ ٱلثَّماني ٱلماضِيَةِ . كانَ يَعْمَلُ لِأَنَّهُ يُحِبُّ عَمَلَهُ وَلَيْسَ لِجَمْعِ ٱلمالِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ إِلَّا ٱلقَضايا ٱلَّتي تُثيرُ اهْتِمامَهُ .

– ٢ –

اِرْتَدَيْتُ مَلابِسي بِسُرْعَةٍ ، وَتَبِعْتُ هُولمْز إِلى غُرْفَةِ ٱلِاسْتِقْبالِ في ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ . كانَتْ هُناكَ سَيِّدَةٌ تَجْلِسُ بِجِوارِ ٱلنّافِذَةِ ، مُرْتَدِيَةً مَلابِسَ سَوْداءَ ، وَعَلى وَجْهِها نِقابٌ سَميكٌ . نَهَضَتْ لِلِقائِنا عِنْدَما دَخَلْنا ٱلغُرْفَةَ ، فَقالَ هُولمْز :

«صَباحَ ٱلخَيْرِ يا سَيِّدَتي . اسْمي شِيرْلُوك هُولمْز ، وَهٰذا هُوَ صَديقي ٱلدُّكْتور واطْسُن . يُمْكِنُكِ أَنْ تَقولي لَنا كُلَّ ما تُريدينَ ، وَثِقي بِأَنَّنا سَنَحْتَفِظُ بِكُلِّ ما تَقولينَهُ سِرًّا . لِماذا تَرْتَعِدينَ ؟ تَفَضَّلي وَاجْلِسي بِجِوارِ ٱلمِدْفَأَةِ . سَأَطْلُبُ لَكِ قَدَحًا مِنَ ٱلقَهْوَةِ .»

قالَتِ ٱلمَرْأَةُ بِهُدوءٍ : «لَيْسَ ٱلبَرْدُ هُوَ ٱلسَّبَبَ في رِعْدَتي .»

«لِماذا تَرْتَعِدينَ إِذًا ؟»

«إِنَّهُ ٱلخَوْفُ يا مِسْتِر هُولمْز ! إِنَّهُ ٱلرُّعْبُ !» ثُمَّ رَفَعَتْ نِقابَها فَرَأَيْنا صِدْقَ ما تَقولُ .

كانَ وَجْهُها شاحِبًا ، وَٱلرُّعْبُ مُرْتَسِمًا في عَيْنَيْها . كانَتْ تَبْدو في ٱلثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِها ، لٰكِنَّ شَعْرَها كانَ كُلُّهُ أَشْيَبَ تَقْريبًا .

قالَ هُولمْز بِرِقَّةٍ : «يَجِبُ أَلّا تَخافي .» ثُمَّ انْحَنى وَرَبَّتَ عَلى ذِراعِها يُطَمْئِنُها ، وَقالَ : «لَسْتُ أَشُكُّ في أَنَّنا سَنُعيدُ ٱلأُمورَ إِلى نِصابِها بِسُرْعَةٍ ، فَاطْمَئِنّي . هَلْ وَصَلْتِ إِلى لَنْدَن بِٱلقِطارِ هٰذا ٱلصَّباحَ ؟»

أَجابَتْ : «نَعَمْ . لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلي قَبْلَ ٱلسّادِسَةِ ، وَوَصَلْتُ بِأَوَّلِ قِطارٍ إِلى مَحَطَّةِ وُوتَرْلو . سَأُصابُ بِٱلجُنونِ إِذا لَمْ تُساعِدْني يا سَيِّدي . لَقَدْ سَبَقَ أَنْ عاوَنْتَ إِحْدى صَديقاتي عِنْدَما كانَتْ في أَشَدِّ ٱلحاجَةِ إِلى ٱلعَوْنِ . وَقَدْ أَخَذْتُ عُنْوانَكَ مِنْها . آهٍ يا سَيِّدي ! أَتَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَسْتَطيعُ مُعاوَنَتي أَنا أَيْضًا ، وَأَنْ تُلْقِيَ بَصيصًا مِنَ ٱلنّورِ عَلى ٱلظُّلْمَةِ ٱلَّتي تُحيطُ بي ؟ لَنْ أَسْتَطيعَ أَنْ أَدْفَعَ لَكَ ٱلكَثيرَ ٱلآنَ ، لٰكِنْ إِذا ٱنْتَظَرْتَ ، فَإِنَّني سَأَتَزَوَّجُ خِلالَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ وَسَأَحْصُلُ عِنْدَئِذٍ عَلى ما يَخُصُّني مِنْ أَمْوالٍ .»

قالَ هُولمْز : «يُسْعِدُني أَنْ أَبْذُلَ كُلَّ ما في وُسْعي لِمُعاوَنَتِكِ يا سَيِّدَتي . وَيُمْكِنُكِ أَنْ تَدْفَعي في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي يُناسِبُكِ . وَٱلآنَ ، يَجِبُ أَنْ تُخْبِريني بِكُلِّ ما يُسَبِّبُ لَكِ هٰذا ٱلقَلَقَ ٱلشَّديدَ .»

أَجابَتْ زائِرَتُنا : «لِلْأَسَفِ مِنَ ٱلصَّعْبِ أَنْ أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ مُفيدًا لَكَ . كُلُّ ما جَمَعْتُهُ مِنْ حَقائِقَ قَليلٌ جِدًّا وَلا أَهَمِّيَّةَ لَهُ ، وَقَدْ تَظُنُّ أَنَّ ٱلأَمْرَ

كُلُّهُ مُجَرَّدُ أَوْهامِ امْرَأَةٍ .»

قالَ هُولمز : «أَخْبِريني بِكُلِّ ما تَعْرِفينَ يا سَيِّدَتي ، وَحَدِّثيني أَيْضًا عَنْ أُسْرَتِكِ .»

- ٣ -

«اِسْمي هِيلِين سْتُونَر ، وَأَعيشُ مَعَ زَوْجِ أُمّي ، وَهُوَ آخِرُ أَفْرادِ عائِلَةٍ إِنْجليزِيَّةٍ مَشْهورَةٍ جِدًّا : إِنَّها عائِلَةُ رُويْلُوت .»

قالَ هُولمز : «لَقَدْ سَمِعْتُ بِالاسْمِ .»

«كانَتْ هٰذِهِ ٱلعائِلَةُ ذاتَ يَوْمٍ أَغْنى عائِلاتِ إِنْجِلْتِرا ، وَكانَتْ تَمْلِكُ مِساحاتٍ شاسِعَةً مِنَ ٱلأَراضي ، تَمْتَدُّ مِنْ بِرْكشايَر شَمالًا إِلى هامْبشايَر غَرْبًا .

«وَخِلالَ ٱلمِئَةِ سَنَةٍ ٱلأَخيرَةِ ، بَدَّدَ ٱلأَبْناءُ أَمْلاكَ ٱلعائِلَةِ ، حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ هٰذِهِ ٱلأَمْلاكِ ٱلآنَ إِلّا مِساحاتٌ صَغيرَةٌ مِنَ ٱلأَراضي ، وَمَنْزِلٌ عَتيقٌ بُنِيَ مُنْذُ ما يَقْرُبُ مِنْ مِئَتَيْ عامٍ . وَتَراكَمَتْ عَلى ٱلأُسْرَةِ دُيونٌ كَثيرَةٌ ، وَدَرَسَ ٱلاِبْنُ ٱلأَكْبَرُ ٱلطِّبَّ ، وَسافَرَ إِلى ٱلهِنْدِ ، وَهُناكَ حالَفَهُ ٱلتَّوْفيقُ . وَفَجْأَةً أُصيبَ لِسُوءِ ٱلحَظِّ بِكارِثَةٍ فَظيعَةٍ : فَقَدِ اقْتَحَمَ لِصٌّ مَنْزِلَهُ ذاتَ لَيْلَةٍ ، وَسَرَقَ كُلَّ مُحْتَوياتِهِ تَقْريبًا . وَفي سَوْرَةِ غَضَبِهِ ، اعْتَبَرَ خادِمَهُ مَسْئُولًا عَنِ ٱلسَّرِقَةِ وَانْهالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا حَتّى ماتَ ٱلمِسْكينُ .

«أُلْقِيَ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت في ٱلسِّجْنِ بِسَبَبِ هٰذِهِ ٱلجَريمَةِ ٱلفَظيعَةِ ، وَقَضى

فيهِ أَعْوامًا طَويلَةً ، عادَ بَعْدَها إِلى إِنْجِلْتِرا مُحَطَّمًا ساخِطًا .

«عِنْدَما كانَ دُكْتور رُويْلُوت في ٱلهِنْدِ ، تَزَوَّجَ أُمّي بَعْدَ وَفاةِ أَبي ، وَيَوْمَها كُنْتُ أَنا وَأُخْتِيَ ٱلتَّوْأَمُ في ٱلثّانِيَةِ مِنَ ٱلعُمْرِ ، وَقَدْ تُوُفِّيَتْ أُمّي مُنْذُ ثَمانِيَةِ أَعْوامٍ ، وَتَرَكَتْ لِزَوْجِها ، ٱلدُّكْتور رُويْلُوت ، كُلَّ ثَرْوَتِها وَأَوْصَتْهُ بِأَنْ يُعْطِيَ كُلًّا مِنّا ، عِنْدَما نَتَزَوَّجُ ، مَبْلَغًا مُعَيَّنًا مِنَ ٱلمالِ كُلَّ عامٍ .

«كانَتِ ٱلثَّرْوَةُ ٱلَّتي تَرَكَتْها أُمّي تَكْفي لِنَعيشَ أَنا وَأُخْتي حَياةً سَعيدَةً ، لٰكِنَّ تَغْييرًا مُخيفًا أَصابَ زَوْجَ أُمِّنا . فَلَمْ يُنْشِئْ أَيَّ صَداقَةٍ مَعَ جيرانِنا ، رَغْمَ أَنَّهُمْ كانوا سُعَداءَ في ٱلبِدايَةِ بِعَوْدَةِ ٱلحَياةِ إِلى مَنْزِلِنا .

«أَغْلَقَ عَلى نَفْسِهِ أَبْوابَ ٱلمَنْزِلِ . وَإِذا خَرَجَ ، تَعارَكَ مَعَ كُلِّ مَنْ يَراهُ ، فَأَصْبَحَ مَصْدَرًا لِرُعْبِ ٱلقَرْيَةِ ، إِلى دَرَجَةِ أَنَّ ٱلنّاسَ كانوا يَحْرِصونَ عَلى ٱلاِبْتِعادِ عَنْ طَريقِهِ ، وَيَخْشَوْنَ غَضَبَهُ ، فَهُوَ رَجُلٌ قَوِيُّ ٱلجِسْمِ ، وَكانوا يَعْرِفونَ ما فَعَلَهُ بِخادِمِهِ في ٱلهِنْدِ .»

- ٤ -

واصَلَتْ هِيلِين سْتُونَر رِوايَةَ قِصَّتِها قائِلَةً : «كانَ أَصْدِقاؤُهُ ٱلوَحيدونَ هُمُ ٱلغَجَرَ ٱلَّذينَ يَتَجَوَّلونَ في ٱلرّيفِ . وَكانَ يَسْمَحُ لِهٰؤُلاءِ ٱلنّاسِ بِإِقامَةِ خِيامِهِمْ في أَرْضِهِ ، وَكانَ يَذْهَبُ أَحْيانًا مَعَهُمْ في رِحْلاتِهِمْ ، وَيَنامُ في خِيامِهِمْ . كَما كانَ يَحْتَفِظُ بِٱلثَّعابينِ وَغَيْرِها مِنَ ٱلحَيَواناتِ ٱلَّتي أَحْضَرَها مَعَهُ مِنَ ٱلهِنْدِ ،

وَيَتْرُكُها تَمْشي في أَيِّ مَكانٍ في ٱلْبَيْتِ أَوِ ٱلْحَديقَةِ ، فَتُثيرُ رُعْبَ كُلِّ ٱلنّاسِ .

« وَيُمْكِنُ يا سَيِّدي أَنْ تَتَخَيَّلَ مِنْ كُلِّ ما قُلْتُهُ ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ما يُدْخِلُ ٱلْبَهْجَةَ عَلى حَياتي وَحَياةِ أُخْتي جولْيا .

« لَمْ يَقْبَلْ أَيُّ خادِمٍ أَنْ يَبْقى عِنْدَنا طَويلًا ، فَكُنّا نَقومُ بِكُلِّ أَعْمالِ ٱلْمَنْزِلِ . وَلَمْ يُمْهِلِ ٱلْقَدَرُ أُخْتي ، فَفارَقَتِ ٱلْحَياةَ وَهِيَ في ٱلثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِها . وَكانَ لَوْنُ شَعْرِها أَبْيَضَ مِثْلَ شَعْري . »

سَأَلَ هولْمْز : « هَلْ ماتَتْ أُخْتُكِ ؟ »

« ماتَتْ مُنْذُ عامَيْنِ ، وَهٰذا هُوَ سَبَبُ حُضوري إِلَيْكَ .

« كُنّا نُقيمُ عِنْدَ بَعْضِ أَقارِبِنا في لَنْدَن مُنْذُ عامَيْنِ ، وَهُناكَ قابَلَتْ أُخْتي رَجُلًا طَلَبَ أَنْ يَتَزَوَّجَها .

« وَلَمّا عُدْنا إِلى بَيْتِنا ، بَدا زَوْجُ أُمِّنا سَعيدًا جِدًّا بِهٰذا ٱلزَّواجِ ، لٰكِنَّ شَيْئًا مُخيفًا حَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ ، قَبْلَ ٱلزِّفافِ بِأُسْبوعَيْنِ . »

كانَ هولْمْز مُسْتَلْقِيًا فَوْقَ مَقْعَدِهِ ، وَقَدْ أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُنْصِتُ لِحَديثِ ٱلسَّيِّدَةِ . وَعِنْدَما سَمِعَ ما قالَتْهُ ، فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ إِلَيْها قائِلًا : « أَرْجو أَنْ تُخْبِريني بِكُلِّ ما حَدَثَ في ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ . »

قالَتْ : « يُمْكِنُني أَنْ أُخْبِرَكَ بِهِ بِكُلِّ سُهولَةٍ ، لِأَنَّ ما حَدَثَ في ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلْمُخيفِ حَيٌّ في ذاكِرَتي إِلى ٱلْأَبَدِ .

« وَيَجِبُ أَنْ أَصِفَ لَكَ أَوَّلًا شَكْلَ مَنْزِلِنا . إِنَّ كُلَّ حُجُراتِ ٱلنَّوْمِ مَوْجودَةٌ في ٱلطّابَقِ ٱلْأَرْضِيِّ . ٱلْغُرْفَةُ ٱلْأُولى لِلدُّكْتور رويْلوت ، وَٱلثّانِيَةُ لِأُخْتي ، وَٱلثّالِثَةُ لي . وَكُلُّ أَبْوابِ حُجُراتِ ٱلنَّوْمِ تُفْتَحُ عَلى مَمَرٍّ واحِدٍ .

« وَتُطِلُّ نَوافِذُ هٰذِهِ ٱلْحُجُراتِ ٱلثَّلاثِ عَلى ٱلْحَديقَةِ . وَفي لَيْلَةِ وَفاةِ أُخْتي ذَهَبَ ٱلدُّكْتور رويْلوت إِلى غُرْفَتِهِ مُبَكِّرًا ، وَذَهَبْنا نَحْنُ أَيْضًا إِلى غُرْفَتَيْنا ، لٰكِنَّ أُخْتي لَمْ تَلْبَثْ أَنْ جاءَتْ إِلى غُرْفَتي وَقالَتْ لي : إِنَّني لا أَسْتَطيعُ ٱلنَّوْمَ . إِنَّ رويْلوت يُدَخِّنُ ، وَرائِحَةُ سَجائِرِهِ تَصِلُ إِلى غُرْفَتي . وَجَلَسَتْ مَعي نَتَحَدَّثُ حَتّى ٱلسّاعَةِ ٱلْحادِيَةَ عَشْرَةَ تَقْريبًا .

« وَعِنْدَما نَهَضَتْ جولْيا لِتُغادِرَ غُرْفَتي ، تَوَقَّفَتْ عِنْدَ بابِ ٱلْغُرْفَةِ قائِلَةً : أَخْبِريني يا هيلين ، هَلْ سَبَقَ أَنْ سَمِعْتِ شَخْصًا يُصَفِّرُ في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ ٱللَّيْلِ ؟

« أَجَبْتُ : كَلّا .

« فَقالَتْ : لا أَظُنُّ أَنَّكِ أَنْتِ ٱلَّتي تُصَفِّرينَ أَثْناءَ نَوْمِكِ ؟

« لا بِالتَّأْكيدِ ! لٰكِنْ لِماذا تَسْأَلينَ ؟

« قالَتْ : إِنَّني مُنْذُ عِدَّةِ لَيالٍ ، وَفي حَوالَى ٱلثّالِثَةِ صَباحًا ، أَسْمَعُ صَفيرًا خافِتًا واضِحًا يوقِظُني دائِمًا . وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أُحَدِّدَ مَصْدَرَهُ ، رُبَّما كانَ يَأْتي مِنْ غُرْفَةِ رويْلوت ، وَرُبَّما مِنَ ٱلْحَديقَةِ .



«قُلْتُ لَها : قَدْ يَكونُ مَصْدَرُهُ هٰؤُلاءِ ٱلغَجَرَ الَّذينَ يَسْمَحُ لَهُمُ ٱلطَّبيبُ بِٱلبَقاءِ في ٱلحَديقَةِ .

« مُحْتَمَلٌ جِدًّا . لٰكِنْ يُدْهِشُني أَنَّكِ لا تَسْمَعينَ هٰذا ٱلصَّفيرَ أَيْضًا .

«أَعْتَقِدُ أَنَّ نَوْمي أَعْمَقُ مِنْ نَوْمِكِ .

«قالَتْ : لا تَهْتَمّي بِٱلأَمْرِ ! ثُمَّ ٱبْتَسَمَتْ لي وَغادَرَتِ ٱلغُرْفَةَ ، وَبَعْدَ دَقائِقَ سَمِعْتُها تُغْلِقُ بابَ غُرْفَتِها بِالمِفْتاحِ .»

سَأَلَ هُولمْز ٱلسَّيِّدَةَ : «هَلْ كانَ مِنْ عادَتِكُما أَنْ تُغْلِقا دائِمًا غُرْفَتَيْكُما لَيْلًا بِٱلمِفْتاحِ ؟»

«دائِمًا .»

«لِماذا ؟»

«أَظُنُّ أَنَّني أَخْبَرْتُكَ أَنَّ ٱلطَّبيبَ يَحْتَفِظُ بِحَيَواناتٍ مُفْتَرِسَةٍ تَتَمَشّى طَوالَ ٱللَّيْلِ في أَنْحاءِ ٱلبَيْتِ . وَلَمْ نَكُنْ نَشْعُرُ بِٱلاِطْمِئْنانِ إِلَّا إِذا أَغْلَقْنا بابَيْنا بِٱلمِفْتاحِ .»

«فَهِمْتُ . أَرْجو أَنْ تُكْمِلي .»

— ٥ —

إِسْتَمَرَّتْ هيلين تَرْوي قِصَّتَها فَقالَتْ : «لَمْ أَسْتَطِعِ ٱلنَّوْمَ في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ . كانَتْ هُناكَ عاصِفَةٌ ؛ ٱلرّيحُ تَزْأَرُ في ٱلخارِجِ ، وَٱلأَمْطارُ تَقْرَعُ ٱلنَّوافِذَ .

«فَجْأَةً سَمِعْتُ صَرْخَةً مُرَوِّعَةً ، أَطْلَقَتْها ٱمْرَأَةٌ أَصابَها رُعْبٌ . وَأَدْرَكْتُ أَنَّها أُخْتي ، فَقَفَزْتُ مِنْ فِراشي . وَبَيْنَما كُنْتُ أَفْتَحُ بابَ غُرْفَتي لِأَخْرُجَ إِلى ٱلمَمَرِّ ، خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّني سَمِعْتُ صَفيرًا خافِتًا ، يُشْبِهُ ما وَصَفَتْهُ أُخْتي . وَبَعْدَ لَحْظَةٍ سَمِعْتُ صَوْتَ سُقوطِ شَيْءٍ مَعْدِنِيٍّ .

«وَعِنْدَما ٱنْدَفَعْتُ أَجْري في ٱلمَمَرِّ ، فُتِحَ بابُ غُرْفَةِ أُخْتي ، وَرَأَيْتُها شاحِبَةَ ٱلوَجْهِ مِنَ ٱلرُّعْبِ . وَكانَتْ تَمُدُّ يَدَيْها تَطْلُبُ ٱلعَوْنَ ، وَكانَ جِسْمُها يَتَمايَلُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً .

«جَرَيْتُ نَحْوَها ، وَما إِنْ طَوَّقْتُها بِذِراعَيَّ ، حَتّى تَخاذَلَتْ رُكْبَتاها وَسَقَطَتْ عَلَى ٱلأَرْضِ . وَكانَ يَبْدو أَنَّها تُعاني مِنْ أَلَمٍ فَظيعٍ .

«هَمَسَتْ أُخْتي قائِلَةً : ، آهِ .. هيلين .. يا إِلٰهي .. إِنَّها ٱلعِصابَةُ !

العِصابةُ المُرَقَّطَةُ ! ، ثُمَّ أَشارَتْ ناحِيَةَ غُرْفَةِ الطَّبيبِ ، لٰكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْطِقَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذا .

« عِنْدَئِذٍ ظَهَرَ الطَّبيبُ خارِجًا مِنْ غُرْفَتِهِ ، وَ حاوَلَ مَعي إِنْقاذَ حَياةِ أُخْتي ، وَلٰكِنَّ القَدَرَ لَمْ يُمْهِلْها ، وَ أَسْلَمَتِ الرُّوحَ في الحالِ . »

قالَ هُولمْز مُتَسائِلًا : « هَلْ أَنْتِ واثِقَةٌ أَنَّكِ سَمِعْتِ ذٰلِكَ الصَّفيرَ ، وَ صَوْتَ سُقوطِ جِسْمٍ مَعْدِنيٍّ ؟ هَلْ أَنْتِ مُتَأَكِّدَةٌ مِنْ هٰذا تَمامًا ؟ »

« أَظُنُّ أَنَّني سَمِعْتُهُ .. رُبَّما يَكونُ صَوْتُ العاصِفَةِ هُوَ الَّذي جَعَلَني أَتَخَيَّلُ تِلْكَ الأَصْواتَ . »

« هَلْ كانَتْ أُخْتُكِ تَرْتَدي كامِلَ مَلابِسِها ؟ »

« كَلّا ، كانَتْ تَرْتَدي ثِيابَ النَّوْمِ . وَ كانَ في يَدِها اليُمْنى عُودُ ثِقابٍ مُحْتَرِقٌ ، وَ في يَدِها اليُسْرى عُلْبَةُ الثِّقابِ . »

قالَ هُولمْز : « هٰذا يَدُلُّ عَلى أَنَّها كانَتْ في فِراشِها ، وَ أَنَّها أَشْعَلَتْ عُودَ الثِّقابِ بِمُجَرَّدِ أَنْ شَعَرَتْ بِالخَطَرِ لِتَرى ما حَوْلَها ... هٰذا شَيْءٌ هامٌّ . »

قالَتِ السَّيِّدَةُ : « حَقَّقَ رِجالُ الشُّرْطَةِ القَضِيَّةَ بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ ، وَ كانَ مُعْظَمُ النّاسِ لا يُحِبّونَ الدُّكْتورَ رُويْلوت بِسَبَبِ ماضيهِ ، لٰكِنْ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ سَبَبَ الوَفاةِ . لَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعَةِ أَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ غُرْفَتَها ، لِذٰلِكَ أَصْبَحَ مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّ أُخْتي كانَتْ وَحْدَها في الغُرْفَةِ . »

« أَ لَمْ يَكُنْ هُناكَ سُمٌّ ؟ »

« لَقَدْ فَحَصوا جُثَّتَها ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا أَثَرًا لِسُمٍّ . »

سَأَلَها هُولمْز : « إِذًا ما هُوَ في اعْتِقادِكِ سَبَبُ مَوْتِ أُخْتِكِ ؟ »

« أَعْتَقِدُ أَنَّها ماتَتْ نَتيجَةَ إِصابَتِها بِرُعْبٍ شَديدٍ ، رَغْمَ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُحَدِّدَ سَبَبًا لِرُعْبِها . »

« هَلْ كانَ هُناكَ غَجَرٌ يُقيمونَ في أَرْضِكُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ؟ »

« نَعَمْ ، فَالبَعْضُ مِنْهُمْ يُقيمُ فيها دائِمًا . »

« بِرَأْيِكِ ، ماذا كانَتْ أُخْتُكِ تَقْصِدُ بِالعِصابَةِ .. العِصابَةِ المُرَقَّطَةِ ؟ »

« لَعَلَّها كانَتْ تَقْصِدُ عِصابَةً مِنَ النّاسِ . أَوْ لَعَلَّها كانَتْ تَقْصِدُ الغَجَرَ ، فَإِنَّ عَدَدًا كَبيرًا مِنْهُمْ يَرْبِطونَ حَوْلَ رُؤوسِهِمْ مَناديلَ مُنَقَّطَةً . »

وَ هَزَّ هُولمْز رَأْسَهُ ، وَ ظَهَرَ أَنَّهُ يَشُكُّ كَثيرًا في ذٰلِكَ التَّفْسيرِ . قالَ : « لَسْتُ أَدْري ، إِنَّ الأَمْرَ مُحَيِّرٌ جِدًّا . لٰكِنْ أَرْجو أَنْ تَسْتَمِرّي في قِصَّتِكِ . »

« مَضَتْ سَنَتانِ بَعْدَ هٰذِهِ الأَحْداثِ ، أَحْسَسْتُ فيهِما بِوَحْدَةٍ قاسِيَةٍ . وَ في الشَّهْرِ الماضي ، تَقَدَّمَ صَديقٌ عَزيزٌ ، أَعْرِفُهُ مُنْذُ سَنَواتٍ ، يَطْلُبُ الزَّواجَ بي ، اسْمُهُ بيرْسي أَرْميتاج . وَ قَدْ وافَقَ زَوْجُ أُمّي ، وَ سَنَتَزَوَّجُ في الرَّبيعِ القادِمِ .

« مُنْذُ يَوْمَيْنِ ، طَلَبَ مِنّي زَوْجُ أُمّي أَنْ أَنْتَقِلَ إِلى غُرْفَةِ أُخْتي ، إِلى أَنْ تَتِمَّ

بَعْضُ ٱلإِصْلاحاتِ في غُرْفَتي ، وَهٰكَذا اضْطُرِرْتُ إلى أَنْ أَنامَ في فِراشِ أُخْتي .

« وَلَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ مَدى ما أَصابَني مِنْ رُعْبِ ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ ، عِنْدَما سَمِعْتُ فَجْأَةً ، وَأَنا أَرْقُدُ مُسْتَيْقِظَةً ، الصَّفيرَ ٱلخافِتَ ٱلَّذي سَمِعَتْهُ أُخْتي لَيْلَةَ وَفاتِها . لَقَدْ قَفَزْتُ واقِفَةً ، وَأَضَأْتُ ٱلمِصْباحَ لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَرى شَيْئًا . لَقَدْ مَلأَني ٱلرُّعْبُ حَتّى لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَعودَ ثانِيَةً إلى ٱلنَّوْمِ ، فَارْتَدَيْتُ مَلابِسي في ٱلحالِ ، وَبَقيتُ خائِفَةً قَلِقَةً . وَما إِنْ ظَهَرَتْ تَباشيرُ ضَوْءِ ٱلنَّهارِ ، حَتّى أَسْرَعْتُ أَجْري إلى فُنْدُقِ ٱلتّاجِ ، الَّذي يَقَعُ قَريبًا مِنّا . وَمِنْ هُناكَ اسْتَأْجَرْتُ عَرَبَةً أَوْصَلَتْني إلى مَحَطَّةِ ٱلسِّكَّةِ ٱلحَديدِيَّةِ ، وَجِئْتُ إِلَيْكَ أَطْلُبُ ٱلنُّصْحَ وَٱلمَعونَةَ . »

- ٦ -

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ تَصَرَّفْتِ بِحِكْمَةٍ . لٰكِنْ ، هَلْ ما سَمِعْتُهُ مِنْكِ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ؟ »

« نَعَمْ .. كُلُّ شَيْءٍ . »

« لا ، يا آنِسَةُ سْتُونَر .. إِنَّكِ تُحاوِلينَ حِمايَةَ زَوْجِ أُمِّكِ لِسَبَبٍ لا أَعْرِفُهُ . »

« ماذا تَقْصِدُ ؟ »

لَمْ يُجِبْ هُولمْز ، وَلٰكِنَّهُ أَمْسَكَ يَدَ هِيلين سْتُونَر ، وَرَفَعَها . كانَتْ عَلى ذِراعِها آثارٌ حَمْراءُ لِأَرْبَعَةِ أَصابِعَ .

قالَ هُولمْز : « إِنَّهُ يَقْسو عَلَيْكِ . »

ظَهَرَتِ ٱلتَّعاسَةُ عَلى وَجْهِ ٱلفَتاةِ ، وَغَطَّتْ ذِراعَها قائِلَةً : « إِنَّهُ رَجُلٌ قاسٍ ، ولا يُحِسُّ بِمَدى قُوَّتِهِ . »

خَيَّمَ صَمْتٌ طَويلٌ ، وَهُولمْز يَتَطَلَّعُ إلى نارِ ٱلمِدْفَأَةِ ، ثُمَّ قالَ أَخيرًا : « هٰذا مَوْضوعٌ مُعَقَّدٌ وَغامِضٌ ، يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ أَشْياءَ أُخرى كَثيرةً ، قَبْلَ أَنْ أَقومَ بِأَيِّ عَمَلٍ . وَمَعَ ذٰلِكَ ، عَلَيْنا أَلّا نُضَيِّعَ ٱلوَقْتَ . هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَذْهَبَ ٱليَوْمَ إلى بَيْتِكِ ، وَنُلْقِيَ نَظْرَةً عَلى غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ٱلَّتي تَحَدَّثْتِ عَنْها ، دونَ أَنْ يَعْرِفَ ٱلطَّبيبُ بِذٰلِكَ ؟ »

« نَعَمْ ، لِأَنَّهُ سَيَأْتي ٱليَوْمَ إلى لَنْدَن ، وَسَيَقْضي ٱلنَّهارَ كُلَّهُ بَعيدًا عَنِ ٱلبَيْتِ ، وَلَنْ يَعوقَكَ شَيْءٌ . »

« رائِعٌ ! » ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَسَأَلَني : « هَلْ سَتَأْتي مَعي يا واطْسُن ؟ »

« يُسْعِدُني جِدًّا أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ . »

قالَ هُولمْز : « ماذا تَنْوينَ أَنْ تَفْعَلي يا آنِسَةُ سْتُونَر ؟ »

« سَأَعودُ ٱلآنَ إلى ٱلبَيْتِ ، وَأُقابِلُكُما هُناكَ . »

ثُمَّ نَهَضَتْ قائِلَةً : « إِنَّني ٱلآنَ أَشْعُرُ بِٱلرّاحَةِ ، بَعْدَ ٱلحَديثِ مَعَكُما . » وَأَسْدَلَتْ نِقابَها ٱلأَسْوَدَ ٱلسَّميكَ فَوْقَ وَجْهِها ، وَغادَرَتِ ٱلغُرْفَةَ .

– ٧

سَأَلَنِي شِيرْلُوك هُولمْز : «مارَأْيُكَ في هٰذِهِ ٱلمَسْأَلَةِ ياواطْسُن ؟»
أَجَبْتُ : «إِنَّها تَبْدو لي قَضِيَّةً مِنْ نَوْعٍ جَديدٍ شَديدِ ٱلتَّعْقيدِ . فَأَمامَنا وَصِيَّةُ ٱلأُمِّ ٱلَّتي تَنُصُّ عَلى أَنَّهُ عِنْدَ زَواجِ ٱلبِنْتَيْنِ ، يَتَعَيَّنُ عَلى ٱلدُّكْتور رُويْلُوت أَنْ يُعْطِيَ كُلًّا مِنْهُما مَبْلَغًا مِنَ ٱلمالِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ في هٰذا ما يَكْفي لِٱرْتِكابِ جَريمَةِ قَتْلٍ .»

«لٰكِنْ كَيْفَ ؟ هَلِ اسْتَعانَ في ذٰلِكَ بِٱلغَجَرِ ؟»

«ما ٱلَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ٱلغَجَرُ ؟»

«لَسْتُ أَدْري ، وَهٰذا هُوَ ٱلسَّبَبُ ٱلَّذي يَدْفَعُني إِلى ٱلذَّهابِ ٱلْيَوْمَ إِلى بَيْتِها .. لٰكِنْ ... ما هٰذا ؟» وَقَطَعَ هُولمْز حَديثَهُ فَجْأَةً ، عِنْدَما شاهَدَ بابَ ٱلغُرْفَةِ يُفْتَحُ بِعُنْفٍ ، وَيَدْخُلُ رَجُلٌ ضَخْمُ ٱلجِسْمِ .

سَأَلَ ٱلرَّجُلُ ٱلضَّخْمُ : «مَنْ فيكُما هُولمْز ؟»

أَجابَ هُولمْز : «هٰذا هُوَ اسْمي يا سَيِّدي ، فَهَلْ تَتَكَرَّمُ وَتُخْبِرُني مَنْ أَنْتَ ؟»

«أَنا ٱلدُّكْتور رُويْلُوت .»

قالَ هُولمْز في هُدوءٍ : «أَهْلًا يا دُكْتور .. تَفَضَّلْ بِٱلجُلوسِ .»

«لا .. لَنْ أَجْلِسَ .. لَقَدْ كانَتِ ابْنَتي هُنا ... ماذا كانَتْ تَقولُ لَكُما ؟»

قالَ هُولمْز : «أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلجَوَّ ٱلْيَوْمَ بارِدٌ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ يا سَيِّدي .»

صاحَ ٱلطَّبيبُ : «ماذا كانَتْ تَقولُ لَكَ ؟»

وَاصَلَ هُولمْز حَديثَهُ قائِلًا : «لٰكِنَّ ٱلأَزْهارَ قَدْ بَدَأَتْ تَنْمو .»

«اِسْمَعْ ! أَنا أَعْرِفُكَ يا صانِعَ ٱلمَتاعِبِ . لَقَدْ سَبَقَ أَنْ سَمِعْتُ عَنْكَ . إِنَّكَ هُولمْز ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي يَتَظاهَرُ بِأَنَّهُ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ ، وَيَنْطَلِقُ هُنا وَهُناكَ لِيُثيرَ ٱلمَتاعِبَ لِلنّاسِ .»

ضَحِكَ هُولمْز بِهُدوءٍ وَلَمْ يَرُدَّ عَنْ قَوْلِهِ : «عِنْدَما تَخْرُجُ ، أَرْجو أَنْ تُغْلِقَ ٱلبابَ وَراءَكَ ، لِأَنَّ ٱلبُرودَةَ بَدَأَتْ تَشيعُ في ٱلغُرْفَةِ .»

«مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ تَتْرُكَني وَشَأْني . إِنَّني رَجُلٌ خَطِرٌ . أَنا أَعْرِفُ أَنَّ ٱلآنِسَةَ سْتُونَر كانَتْ هُنا .» ثُمَّ اسْتَدارَ ٱلرَّجُلُ ، وَغادَرَ ٱلغُرْفَةَ بِسُرْعَةٍ .

قُلْتُ : «أَرْجو أَلّا يَعْتَدِيَ عَلى ٱلآنِسَةِ سْتُونَر .»

قالَ هُولمْز : «لَيْسَ هُناكَ وَقْتٌ نُضَيِّعُهُ ، لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ إِلى بَيْتِها ، يَجِبُ أَنْ أُحاوِلَ مَعْرِفَةَ ٱلمَزيدِ عَنْ هٰـذا ٱلرَّجُلِ . سَأَذْهَبُ إِلى إِدارَةِ ٱلسِّجِلّاتِ ، وَأُحاوِلُ ٱلحُصولَ عَلى شَيْءٍ يُعاوِنُني في هٰذا ٱلمَوْضوعِ .»

– ٨

كانَتِ ٱلسّاعَةُ قَدْ قارَبَتِ ٱلواحِدَةَ بَعْدَ ٱلظُّهْرِ ، عِنْدَما عادَ شيرْلُوك هُولمْز



يُمْسِكُ في يَدِهِ بِوَرَقَةٍ مَليئَةٍ بِالْمُلاحَظاتِ وَالْأَرْقامِ . قالَ : «عِنْدَ اطَّلَعْتُ عَلى وَصِيَّةِ زَوْجَةِ الطَّبيبِ ، الَّتي تُوُفِّيَتْ مُنْذُ ثَماني سَنَواتٍ . مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ إِذا تَزَوَّجَتِ الْفَتاتانِ ، فَفي إِمْكانِهِما أَنْ تُطالِبا تَقْريبًا بِكُلِّ ثَرْوَةِ الطَّبيبِ . وَلَنْ يَتَبَقّى لَهُ مِنَ الثَّرْوَةِ إِلّا الْقَليلُ جِدًّا لِيَعيشَ بِهِ .»

قُلْتُ : «إِذًا لَمْ يَذْهَبْ جُهْدُكَ هٰذا الصَّباحَ بِغَيْرِ فائِدَةٍ . لَقَدْ وَجَدْتَ الدَّليلَ الَّذي يُؤَكِّدُ أَنَّ لَدى الطَّبيبِ كُلَّ الْأَسْبابِ الَّتي تَدْفَعُهُ إِلى مَنْعِ زَواجِ الْفَتاتَيْنِ مَنْعًا باتًّا .»

قالَ هُولْمْز : «هٰذا صَحيحٌ .. وَيَعْلَمُ الطَّبيبُ الْآنَ أَنَّنا مُهْتَمّانِ بِأَمْرِهِ ، لِذٰلِكَ أَرى أَنْ نَذْهَبَ في الْحالِ إِلى الْبَيْتِ . هَيّا يا واطْسُن ... احْمِلْ مُسَدَّسَكَ ، وَلا تَنْسَ فُرْشاةَ أَسْنانِكَ أَيْضًا ، فَقَدْ نَقْضي اللَّيْلَةَ هُناكَ .»

كانَ يَوْمًا مُناسِبًا جِدًّا لِلرِّحْلَةِ ، فَالشَّمْسُ ساطِعَةٌ ، وَلا تُوجَدُ في السَّماءِ إِلّا نُتَفٌ مِنَ الْغُيومِ ، وَقَدْ بَدَأَتِ الْأَوْراقُ الْخَضْراءُ الْجَديدَةُ تَظْهَرُ فَوْقَ الْأَشْجارِ ، وَالْجَوُّ مُشْبَعٌ بِرائِحَةِ الْأَرْضِ النَّدِيَّةِ ؛ كانَ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يُصَدِّقَ مَنْ يَرانا أَنَّنا ذاهِبانِ لِمِثْلِ هٰذِهِ الْمُهِمَّةِ الصَّعْبَةِ

عِنْدَما وَصَلْنا ، وَجَدْنا الْآنِسَةَ سْتُونَر في انْتِظارِنا وَما إِنْ رَأَتْنا حَتّى قالَتْ : «كُنْتُ أَنْتَظِرُكُما بِفارِغِ الصَّبْرِ .» ثُمَّ صافَحَتْنا بِحَرارَةٍ قائِلَةً : «مِنْ حُسْنِ الْحَظِّ أَنَّ الدُّكْتور رُويْلُوت قَدْ ذَهَبَ إِلى لَنْدَنْ ، وَلَنْ يَعودَ إِلّا في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ الْمَساءِ .»

قالَ هُولْمْز : «لَقَدْ جاءَنا الدُّكْتور رُويْلُوت بَعْدَ خُروجِكِ مِنْ عِنْدِنا ، وَيُؤْسِفُني أَنَّهُ تَبِعَكِ إِلى مَنْزِلي . لَقَدْ كانَ فَظًّا شَديدَ الْغَضَبِ عِنْدَما تَجاهَلْتُ إِخْبارَهُ عَنْ سَبَبِ حُضورِكِ لِمُقابَلَتي .»

عِنْدَما سَمِعَتِ الْآنِسَةُ سْتُونَر هٰذا ، ازْدادَ وَجْهُها شُحوبًا ، وَصاحَتْ : «آهٍ يا رَبّي ! هَلْ تَبِعَني ؟»

«نَعَمْ .»

«لَسْتُ أَدْري مَتى يُمْكِنُ أَنْ أَكونَ في مَأْمَنٍ مِنْهُ . ماذا سَيَقولُ عِنْدَما يَعودُ إِلى الْمَنْزِلِ ؟»

«يَجِبُ أَنْ تَحْرِصِي عَلَى ٱلِابْتِعَادِ عَنْهُ تَمَامًا هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ . وَقَدْ يَكُونُ مِنَ ٱلْأَفْضَلِ أَنْ آخُذَكِ لِتَبْقَيْ مَعَ أَقَارِبِكِ ٱلَّذِينَ فِي لَنْدَن . لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ ، أَرْجُو أَنْ أَرَى ٱلْغُرَفَ ٱلثَّلَاثَ ٱلَّتِي يَجِبُ أَنْ نَفْحَصَهَا .»

— ٩ —

فَحَصَ هُولْمز حُجُرَاتِ ٱلنَّوْمِ ٱلثَّلَاثَ .

قَالَ : «هٰذِهِ غُرْفَتُكِ يَا آنِسَةُ سْتُونر ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ لٰكِنِّي لَا أَرَى فِيهَا مَا يَسْتَوْجِبُ ٱلْإِصْلَاحَ .»

«أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلدُّكْتُور كَانَ يَتَعَلَّلُ بِإِصْلَاحِهَا حَتَّى يَنْقُلَنِي مِنْهَا إِلَى غُرْفَةِ أُخْتِي .»

قَالَ هُولْمز : «هٰذَا مُمْكِنٌ جِدًّا .» ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ٱلْأَبْوَابِ بِدِقَّةٍ وَقَالَ : «لَا يُمْكِنُ لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَدْخُلَ غُرْفَتَيْكُمَا لَيْلًا مِنَ ٱلْمَمَرِّ مَا دُمْتُمَا تُغْلِقَانِ ٱلْبَابَ بِٱلْمِفْتَاحِ .»

أَغْلَقْنَا ٱلنَّوَافِذَ ، وَخَرَجْنَا إِلَى ٱلْحَدِيقَةِ ، وَحَاوَلَ هُولْمز أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَيَّةِ نَافِذَةٍ بِٱلْقُوَّةِ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَقَالَ : «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَوْجِيهُ أَيِّ لَوْمٍ إِلَى ٱلْغَجَرِ . لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ هٰذِهِ ٱلنَّوَافِذِ وَهِيَ مُغْلَقَةٌ . يَجِبُ أَنْ نَبْحَثَ عَنِ ٱلْجَانِي دَاخِلَ ٱلْمَنْزِلِ .»

عُدْنَا ثَانِيَةً إِلَى غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ، حَيْثُ تُوُفِّيَتْ جُولْيَا ٱلْمِسْكِينَةُ . كَانَ بِٱلْغُرْفَةِ

مِنْضَدَةٌ صَغِيرَةٌ وَمَقْعَدَانِ ، وَسَرِيرٌ يَشْغَلُ مُعْظَمَ ٱلْغُرْفَةِ ٱلصَّغِيرَةِ . وَوَضَعَ هُولْمز أَحَدَ ٱلْمَقْعَدَيْنِ فِي رُكْنٍ مِنَ ٱلْغُرْفَةِ وَجَلَسَ فَوْقَهُ ، وَأَخَذَ يَتَفَحَّصُ ٱلْمَكَانَ بِنَظَرِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . لَمْ يَتْرُكْ جُزْءًا مِنَ ٱلْغُرْفَةِ إِلَّا تَأَمَّلَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، ثُمَّ سَأَلَ : «عِنْدَمَا يَدُقُّ ذٰلِكَ ٱلْجَرَسُ ، مَنِ ٱلَّذِي يَسْتَجِيبُ لِدَقَّاتِهِ ؟» وَأَشَارَ إِلَى حَبْلِ ٱلْجَرَسِ ٱلسَّمِيكِ ٱلَّذِي يَتَدَلَّى بِجَانِبِ ٱلْفِرَاشِ ، وَكَانَ طَرَفُهُ يَسْتَقِرُّ فَوْقَ ٱلسَّرِيرِ .

أَجَابَتْ : «إِنَّهُ يَدُقُّ فِي غُرْفَةِ ٱلْخَدَمِ .»

«إِنَّهُ لَا يَبْدُو قَدِيمًا مِثْلَ بَقِيَّةِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي فِي ٱلْغُرْفَةِ .»

«هٰذَا صَحِيحٌ ... لَقَدْ وُضِعَ هُنَا مُنْذُ عَامَيْنِ فَقَطْ .»

«هَلْ طَلَبَتْ أُخْتُكِ وَضْعَهُ ؟»

«كَلَّا ، أَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّهَا لَمْ تَسْتَعْمِلْهُ أَبَدًا . نَحْنُ نَخْدُمُ أَنْفُسَنَا بِأَنْفُسِنَا .. فَعَادَةً لَا يُوجَدُ خَدَمٌ بِٱلْمَنْزِلِ .»

«إِذًا فَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى جَرَسٍ جَدِيدٍ .»

سَارَ هُولْمز إِلَى ٱلْفِرَاشِ ، وَظَلَّ يَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْسَكَ حَبْلَ ٱلْجَرَسِ بِيَدِهِ وَجَذَبَهُ ، وَقَالَ بِدَهْشَةٍ : «مَا هٰذَا ؟ إِنَّهُ لَيْسَ جَرَسًا حَقِيقِيًّا !»

«أَلَا يَدُقُّ ؟»

«لَا ، بَلْ إِنَّهُ لَا يَتَّصِلُ بِأَيِّ شَيْءٍ . يَا لَهُ مِنْ أَمْرٍ مُثِيرٍ جِدًّا ! إِنَّهُ مُثَبَّتٌ فِي





ٱلحائِطِ بِمِسْمارٍ فَوْقَ فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ ٱلصَّغيرَةِ مُباشَرَةً.»

قالَتِ ٱلفَتاةُ: «يا لَلْعَجَبِ! إِنّي لَمْ أَلْحَظْ هٰذا مِنْ قَبْلُ.»

قالَ هُولمْز في حَيْرَةٍ: «شَيْءٌ غَريبٌ أَنْ تَكونَ فُتْحَةُ ٱلتَّهْوِيَةِ مُتَّصِلَةً بِغُرْفَةٍ أُخْرى، بَدَلًا مِنْ أَنْ تُطِلَّ عَلى ٱلخارِجِ لِيَدْخُلَ مِنْها ٱلهَواءُ ٱلنَّقِيُّ.»

«إِنَّ هٰذِهِ ٱلفُتْحَةَ جَديدَةٌ تَمامًا هِيَ ٱلأُخْرى.»

سَأَلَها هُولمْز: «هَلْ تَمَّ فَتْحُها في ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ ٱلَّذي تَمَّ فيهِ وَضْعُ حَبْلِ ٱلجَرَسِ؟»

«نَعَمْ، وَكانَتْ هُناكَ تَعْديلاتٌ بَسيطَةٌ تَمَّتْ في نَفْسِ ٱلوَقْتِ.»

ذَهَبْنا إِلى غُرْفَةِ ٱلدُّكْتور رُويْلوت. كانَتْ مُؤَثَّثَةً بِأَثاثٍ بَسيطٍ. لٰكِنَّها كانَتْ أَوْسَعَ مِنَ ٱلغُرْفَتَيْنِ ٱلأُخْرَيَيْنِ. كانَتْ هُناكَ مِنْضَدَةٌ مُسْتَديرَةٌ، وَمَقْعَدٌ مُريحٌ، وَصُنْدوقٌ حَديدِيٌّ بِجِوارِ ٱلحائِطِ

دارَ هُولمْز بِبُطْءٍ في أَنْحاءِ ٱلغُرْفَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى، وَفَحَصَ كُلَّ شَيْءٍ بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ. وَلَمَسَ ٱلصُّنْدوقَ وَسَأَلَ: «ماذا يوجَدُ هُنا؟»

«أَوْراقُ زَوْجِ أُمّي.»

«مَعْنى هٰذا أَنَّكِ رَأَيْتِ ما بِداخِلِهِ؟»

«مَرَّةً واحِدَةً فَقَطْ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ، وَأَذْكُرُ أَنَّهُ كانَ مُمْتَلِئًا بِٱلأَوْراقِ.»

«مَثَلًا، أَلا يوجَدُ قِطٌّ بِداخِلِهِ؟»

«لا ... يا لَها مِنْ فِكْرَةٍ غَريبَةٍ!»

«حَسَنًا، أُنْظُري إِلى هٰذا.» ثُمَّ أَشارَ إِلى إِناءٍ صَغيرٍ بِهِ لَبَنٌ كانَ مَوْضوعًا فَوْقَ ٱلصُّنْدوقِ.

قالَتْ: «توجَدُ حَيَواناتٌ كَثيرَةٌ في أَنْحاءِ ٱلمَكانِ، وَلٰكِنَّها أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَشْرَبَ مِنْ هٰذا ٱلإِناءِ.»

قالَ هُولمْز: «لَقَدْ قُلْتِ إِنَّ هُناكَ ثُعْبانًا بِٱلمَنْزِلِ .. أَظُنُّ أَنّي رَأَيْتُ ما فيهِ ٱلكِفايَةُ يا آنِسَةُ سْتونَر. أَتَسْمَحينَ أَنْ نَعودَ إِلى ٱلحَديقَةِ؟»

- ١٠ -

غادرْنا غُرْفةَ ٱلطَّبيبِ . وَكانَتْ تِلْكَ إحْدى ٱلمَرّاتِ ٱلَّتي رَأَيْتُ فيها وَجْهَ صَديقي هُولْمْز مُكْفَهِرًّا ، وَٱلغَضَبَ في عَيْنَيْهِ . سِرْنا عِدَّةَ دَقائِقَ ، قَبْلَ أَنْ يُعاوِدَ ٱلحَديثَ مَرَّةً أُخْرى قائِلًا لَها : « مِنَ ٱلمُهِمِّ يا آنِسةُ سْتُونَر أَنْ تُنَفِّذي ما أُشيرُ بِهِ عَلَيْكِ . »

قالَتْ : « سَأَفْعَلُ هٰذا بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

« الأَمْرُ خَطيرٌ جِدًّا ، وَحَياتُكِ تَتَوَقَّفُ عَلى طاعَتِكِ لي طاعَةً مُطْلَقَةً . »

« سَأُنَفِّذُ كُلَّ ما تَطْلُبُ . »

« أَوَّلًا يَجِبُ أَنْ أَقْضِيَ ، أَنا وَصَديقي واطْسُن ، هٰذِهِ ٱللَّيلَةَ في غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ٱلَّتي كانَتْ تَشْغَلُها أُخْتُكِ . »

وَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ أَنا وَٱلآنِسةُ سْتُونَر في دَهْشَةٍ .

« نَعَمْ ، هٰذا أَمْرٌ لا بُدَّ مِنْهُ دَعيني أَشْرَحْ لَكِ . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُوجَدُ في هٰذِهِ ٱلقَرْيَةِ فُنْدُقٌ قَريبٌ مِنْ هُنا . »

« هٰذا صَحيحٌ . يُوجَدُ فُنْدُقُ ٱلتّاجِ . »

« حَسَنًا ! وَأَعْتَقِدُ أَنَّ نَوافِذَ غُرْفَتَيْكُما يُمْكِنُ رُؤْيَتُها مِنْ ذٰلِكَ ٱلفُنْدُقِ ؟ »

« بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

« يَجِبُ أَنْ تَذْهَبي مُبَكِّرًا إلى غُرْفَةِ أُخْتِكِ ، وَلا تُقابِلي زَوْجَ أُمِّكِ . وَعِنْدَما تَسْمَعينَهُ يَأْوي إلى فِراشِهِ ، اِفْتَحي ٱلنّافِذَةَ ، وَضَعي بِها مِصْباحًا مُضيئًا كَإِشارَةٍ لَنا ، ثُمَّ غادِري ٱلغُرْفَةَ وَاذْهَبي إلى غُرْفَتِكِ . »

« أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ ماذا تَنْوي ؟ »

« سَنَجيءُ مِنَ ٱلفُنْدُقِ ٱلقَريبِ ، وَنَقْضي ٱللَّيْلَةَ في غُرْفَةِ أُخْتِكِ ، وَسَنُصْغي جَيِّدًا لَعَلَّنا نَسْمَعُ ٱلأَصْواتَ ٱلَّتي أَثارَتْ رُعْبَكِ . »

« أَعْتَقِدُ يا سَيِّدُ هُولْمْز أَنَّكَ تَوَصَّلْتَ لِما كُنْتَ تَبْحَثُ عَنْهُ . »

« رُبَّما أَكُونُ قَدْ تَوَصَّلْتُ إلى ذٰلِكَ . »

« إِذًا أَرْجوكَ .. أَرْجوكَ أَنْ تُخْبِرَني كَيْفَ ماتَتْ أُخْتي . »

« يَجِبُ أَنْ أَتَأَكَّدَ قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَكِ بِشَيْءٍ . »

« هَلْ تَظُنُّ أَنَّها ماتَتْ مِنَ ٱلرُّعْبِ ؟ »

« لا ، لا أَظُنُّ ذٰلِكَ . وَٱلآنَ يَجِبُ أَنْ نَذْهَبَ نَحْنُ يا آنِسةُ سْتُونَر . إذا عادَ ٱلدُّكْتور رُويْلوت وَرَآنا هُنا ، فَشِلَتْ خُطَّتُنا . إلى ٱللِّقاءِ ! تَمَسَّكي بِٱلشَّجاعَةِ وَتَأَكَّدي مِنْ أَنَّكِ إذا فَعَلْتِ ما طَلَبْتُهُ مِنْكِ ، أَبْعَدْنا عَنْكِ كُلَّ خَطَرٍ ، وَسَتَعيشينَ بَعْدَ ذٰلِكَ في أَمانٍ تامٍّ . »

حَصَلْتُ أَنا وَشِرْلُوك هُولْمْز عَلى غُرْفَةٍ في فُنْدُقِ ٱلتّاجِ . كانَتْ في ٱلطّابَقِ ٱلأَوَّلِ ، وَكانَ في اسْتِطاعَتِنا أَنْ نَرى ٱلبَيْتَ بِسُهولَةٍ جِدًّا .

«هَلْ تَعْرِفُ يا واطْسُن أَنَّهُ مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَلّا تَأْتِيَ مَعي ٱللَّيْلَةَ ؟ فَأَنا أَخْشى أَنْ يَكونَ هُناكَ خَطَرٌ ما .»

فَسَأَلْتُهُ : «هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أُساعِدَكَ في شَيْءٍ ؟»

«يَجِبُ أَنْ أَكونَ صادِقًا مَعَكَ : إِنَّني أَحْتاجُ إِلَيْكَ بِشِدَّةٍ .»

«إِذًا سَأَذْهَبُ مَعَكَ بِٱلتَّأْكيدِ .»

«وَأَنا سَأَكونُ شاكِرًا لَكَ كُلَّ ٱلشُّكْرِ .»

«إِنَّكَ تَتَحَدَّثُ عَنْ خَطَرٍ ، فَيَبْدو أَنَّكَ رَأَيْتَ في تِلْكَ ٱلغُرْفَةِ أَكْثَرَ مِمّا ٱسْتَطَعْتُ أَنا أَنْ أَرى .»

«حَسَنًا ، كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّنا سَنَجِدُ فُتْحَةً لِلتَّهْوِيَةِ قَبْلَ أَنْ نَجيءَ أَصْلًا إِلى ٱلمَنْزِلِ .»

«أَنْتَ رائِعٌ يا هُولْمْز !»

«نَعَمْ ، كُنْتُ أَعْرِفُ .. أَلا تَتَذَكَّرُ أَنَّ هيلين سْتُونَر قالَتْ إِنَّ أُخْتَها كانَتْ تَشُمُّ رائِحَةَ سَجائِرِ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت ؟ وَعِنْدَما كانَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ يُحَقِّقونَ في حادِثِ مَوْتِ أُخْتِها ، لَمْ يَتَحَدَّثْ أَحَدٌ عَنْ فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ . لِذٰلِكَ ٱسْتَنْتَجْتُ أَنَّها لا بُدَّ أَنْ تَكونَ فُتْحَةً صَغيرَةً .»

«لٰكِنْ هَلْ هُناكَ أَهَمِّيَّةٌ لِكُلِّ هٰذا ؟»

فَسَأَلَني هُولْمْز : «أَلا تَرى مَعي أَنَّ هُناكَ تَساؤُلاتٍ كَثيرَةً تَطْرَحُ نَفْسَها ؟

لِماذا تَمَّ عَمَلُ فُتْحَةٍ لِلتَّهْوِيَةِ في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي تَمَّ فيهِ تَعْليقُ حَبْلِ ٱلجَرَسِ ؟ وَعَقِبَ ذٰلِكَ ماتَتِ ٱلسَّيِّدَةُ ٱلَّتي تَنامُ في هٰذا ٱلفِراشِ ؟»

«ما زالَ ٱلأَمْرُ غامِضًا بِٱلنِّسْبَةِ لي .»

«أَلَمْ تُلاحِظْ أَنَّ ٱلسَّريرَ كانَ مُثَبَّتًا بِٱلمَساميرِ إِلى ٱلأَرْضِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في ٱسْتِطاعَةِ ٱلسَّيِّدَةِ تَحْريكُ سَريرِها مِنْ مَكانِهِ ؟! وَكَأَنَّهُ كانَ مُحَدَّدًا أَنْ يَبْقى هُناكَ بِجِوارِ حَبْلِ ٱلجَرَسِ ، وَتَحْتَ فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ !»

صِحْتُ : «هُولْمْز .. لَقَدْ بَدَأْتُ أَفْهَمُ ! لَقَدْ جِئْنا في ٱلوَقْتِ ٱلمُناسِبِ لِنَمْنَعَ جَريمَةَ قَتْلٍ أُخْرى .»

«هٰذا صَحيحٌ ، وَعَلَيْنا أَنْ نُواجِهَ ، في سَبيلِ هٰذا ، لَيْلَةً مُخيفَةً .»

— ١١

كانَ ٱلظَّلامُ يُخَيِّمُ عَلى ٱلبَيْتِ ٱلَّذي كُنّا نُراقِبُهُ ، وَمَرَّتِ ٱلسّاعاتُ بَطيئَةً . وَفَجْأَةً ، عِنْدَما دَقَّتِ ٱلسّاعَةُ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ ، ظَهَرَتْ أَمامَنا شُعْلَةُ نورٍ مُتَلَأْلِئَةٌ .

قالَ هُولْمْز وَهُوَ يَقْفِزُ واقِفًا : «هٰذِهِ هِيَ ٱلإِشارَةُ ! إِنَّها تَصْدُرُ مِنَ ٱلنّافِذَةِ ٱلَّتي إِلى ٱليَمينِ .»

لَمْ تَمْضِ لَحَظاتٌ حَتّى كُنّا نُسْرِعُ في ٱلطَّريقِ ٱلمُظْلِمِ ، وَٱلرّيحُ ٱلبارِدَةُ تَهُبُّ عَلى وَجْهَيْنا ، وَشُعْلَةُ ضَوْءٍ تَقودُنا إِلى مَصيرِنا . وَوَصَلْنا إِلى ٱلحَديقَةِ ، وَمَشَيْنا فيها بِهُدوءٍ ، ثُمَّ تَسَلَّلْنا إِلى داخِلِ ٱلبَيْتِ ، وَأَغْلَقْنا ٱلنّافِذَةَ . وَضَعْنا

ٱلمِصْباحَ فَوْقَ ٱلمائِدَةِ . وَنَظَرَ هُولمْز حَوْلَهُ . وَلَمْ يَكُنْ قَدْ تَغَيَّرَ شَيْءٌ في ٱلغُرْفَةِ . وَهَمَسَ لي : «يَجِبُ أَلّا نُحْدِثَ أَيَّ صَوْتٍ .»

هَزَزْتُ لَهُ رَأْسي بِٱلإيجابِ .

«وَيَجِبُ أَنْ نَبْقَى بِغَيْرِ ضَوْءٍ ، فَقَدْ يَراهُ مِنْ فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ .»

مَرَّةً ثانِيَةً أَشَرْتُ لَهُ أَنَّني أُوافِقُهُ .

«تَنَبَّهْ جَيِّدًا ، فَحَياتُكَ هِيَ خَطَرٍ . كُنْ مُسْتَعِدًّا بِمُسَدَّسِكَ . سَأَجْلِسُ عَلَى ٱلفِراشِ ، وَتَجْلِسُ أَنْتَ عَلَى ٱلمَقْعَدِ .»

أَخْرَجْتُ مُسَدَّسي وَوَضَعْتُهُ فَوْقَ ٱلمائِدَةِ .

كانَ هُولمْز قَدْ أَحْضَرَ عَصًا طَويلَةً رَفيعَةً ، وَضَعَها بِجِوارِهِ عَلَى ٱلفِراشِ ، مَعَ عُلْبَةِ ثِقابٍ ، ثُمَّ أَطْفَأَ ٱلمِصْباحَ فَسادَ ٱلظَّلامُ ٱلحُجْرَةَ .

– ١٢ –

كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ أَنْسى تِلْكَ ٱلسّاعاتِ ٱلمُخيفَةَ ؟ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ هُولمْز يَجْلِسُ بِٱلقُرْبِ مِنّي وَعَيْناهُ مَفْتوحَتانِ ، يُصْغي وَيُراقِبُ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ ٱلقَلَقُ مِثْلي . كانَ ٱلظَّلامُ حالِكًا ، وَتَرامَتْ إِلى أَسْماعِنا مِنَ ٱلخارِجِ صَيْحَةٌ مُعْتادَةٌ لِطائِرٍ لَيْلِيٍّ ، وَمِنْ بَعيدٍ كانَتْ ساعَةُ ٱلمَدينَةِ تَدُقُّ كُلَّ رُبْعِ ساعَةٍ . وَكُنّا نُحِسُّ بِأَنَّ هٰذِهِ ٱلأَرْباعَ طَويلَةٌ جِدًّا .. ٱلسّاعَةُ ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ .. ٱلواحِدَةُ .. ٱلثّانِيَةُ ثُمَّ ٱلثّالِثَةُ .. وَنَحْنُ جالِسانِ نَنْتَظِرُ في هُدوءٍ أَيَّ شَيْءٍ يَحْدُثُ .

فَجْأَةً ، ظَهَرَ ضَوْءٌ مِنْ فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ ثُمَّ سَمِعْنا صَليلَ سِلْسِلَةٍ ثُمَّ صَوْتًا خافِتًا جِدًّا ، كَأَنَّهُ صَوْتُ بُخارٍ يَخْرُجُ مِنْ إِناءٍ . وَما إِنْ سَمِعَ هُولمْز ذٰلِكَ ٱلصَّوْتَ ، حَتّى قَفَزَ مِنْ فَوْقِ ٱلفِراشِ وَأَشْعَلَ عودًا مِنَ ٱلثِّقابِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَضْرِبُ بِعَصاهُ بِسُرْعَةٍ وَعُنْفٍ .

صاحَ : «هَلْ رَأَيْتَهُ يا واطْسُن ؟ هَلْ رَأَيْتَهُ ؟»

لٰكِنَّني لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُ شَيْئًا ، وَسَمِعْتُ صَفيرًا خافِتًا واضِحًا . وَٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَرى وَجْهَ هُولمْز : كانَ شاحِبًا شُحوبَ ٱلمَوْتى ، وَقَدْ شاعَ فيهِ ٱلرُّعْبُ وَٱلبُغْضُ . وَتَناوَلَ ٱلمِصْباحَ وَأَشْعَلَهُ وَوَقَفَ هُولمْز ساكِنًا يَنْظُرُ إِلى فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ . وَفَجْأَةً ٱرْتَفَعَتْ أَشَدُّ صَرْخَةِ رُعْبٍ سَمِعْتُها في حَياتي ، وَتَعالَتْ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ، وَقَدِ ٱخْتَلَطَ فيها ٱلأَلَمُ بِٱلخَوْفِ وَٱلغَضَبِ . وَسَرَتِ ٱلبُرودَةُ في جِسْمي كُلِّهِ عِنْدَ سَماعِها . أَخيرًا ، سَكَتَتِ ٱلصَّرْخَةُ ، وَخَيَّمَ ٱلسُّكونُ .

هَمَسْتُ : «ما مَعْنى هٰذا ؟»

أَجابَ هُولمْز : «مَعْناهُ أَنَّ ٱلقَضِيَّةَ ٱنْتَهَتْ ؛ وَلَعَلَّ هٰذِهِ ٱلنِّهايَةَ أَفْضَلُ نَتيجَةٍ لِلْقَضِيَّةِ . تَناوَلْ مُسَدَّسَكَ ؛ فَيَجِبُ أَنْ نَدْخُلَ غُرْفَةَ ٱلدُّكْتورِ رُويْلُوت .»

أَخَذْنا ٱلمِصْباحَ وَدَخَلْنا غُرْفَةَ ٱلطَّبيبِ . كانَ مُسَدَّسي في يَدي مُعَدًّا لِلإِطْلاقِ . وَوَجَدْنا مِصْباحًا مُضاءً مَوْضوعًا عَلى ٱلمائِدَةِ ، وَكانَ ٱلصُّنْدوقُ ٱلحَديدِيُّ مَفْتوحًا ، وَٱلطَّبيبُ جالِسًا عَلى مَقْعَدٍ . كانَ رَأْسُهُ مُنْتَصِبًا إِلى أَعْلى ، وَعَيْناهُ ثابِتَتَيْنِ تُحَدِّقانِ في رُعْبٍ وَفَزَعٍ ، وَحَوْلَ رَأْسِهِ عِصابَةٌ صَفْراءُ

ذاتُ نُقَطٍ بُنِّيَّةٍ . وَعِنْدَما دَخَلْنا الْغُرْفَةَ لَمْ تَصْدُرْ عَنْهُ أَيَّةُ حَرَكَةٍ .

هَمَسَ هُولْمْز : «الْعِصابَةُ ! الْعِصابَةُ الْمُرَقَّطَةُ !»

تَقَدَّمْتُ خُطْوَةً ، وَفي الحالِ ، تَحَرَّكَتِ الْعِصابَةُ ... وَكانَتْ ثُعْبانًا .

صاحَ هُولْمْز : «إِنَّها أَخْطَرُ ثَعابينِ الْهِنْدِ ! إِنَّها الْحَيَّةُ الرَّقْطاءُ ! مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ ماتَ بَعْدَ عَشْرِ ثَوانٍ مِنْ لَدْغَتِها .»

وَعِنْدَما تَحَرَّكَ الثُّعْبانُ ناحِيَتَنا ، أَطْلَقْتُ النّارَ عَلى رَأْسِهِ ، وَكُنْتُ أَرْتَجِفُ وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ . وَبَدا أَنَّ صَوْتَ الطَّلْقَةِ أَيْقَظَنا مِنْ كابُوسٍ مُخيفٍ .

سَمِعَتِ الْفَتاةُ الْمَرْعوبَةُ صَوْتَ الطَّلْقَةِ ، فَصاحَتْ تَطْلُبُ الْعَوْنَ مِنّا . وَطَمْأَنَها هُولْمْز ، وَأَخْبَرَها أَنَّ الأَمْرَ انْتَهى ، وَأَنَّهُ لا خَطَرَ عَلَيْها بَعْدَ ذٰلِكَ ، ثُمَّ رَوى لَها الْقِصَّةَ .

قالَ : «لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الْخَطَرَ يَكْمُنُ في فُتْحَةِ التَّهْوِيَةِ وَحَبْلِ الْجَرَسِ . عَرَفْتُ أَنَّ شَيْئًا ما يَأْتي مِنْ فُتْحَةِ التَّهْوِيَةِ ، وَأَنَّ حَبْلَ الْجَرَسِ قَدْ تَمَّ وَضْعُهُ هُناكَ لِيَقودَ هٰذا الشَّيْءَ إِلى الْفِراشِ .»

صاحَتِ الْفَتاةُ : «الثُّعْبانُ ! أَكُنْتَ تَعْرِفُ أَمْرَ الثُّعْبانِ ؟»

«نَعَمْ ، وَهٰذا النَّوْعُ مِنَ الثَّعابينِ السّامَّةِ لَهُ لَدْغَةٌ لا يُمْكِنُ اكْتِشافُها . لَقَدِ اسْتَخْدَمَ هٰذا الرَّجُلُ الذَّكِيُّ خِبْرَتَهُ الَّتي اكْتَسَبَها مِنَ الْهِنْدِ ، لِيَقْتُلَ . لَقَدْ عَلَّمَ الثُّعْبانَ أَنْ يُطيعَ الصَّفيرَ الَّذي سَمِعْتِهِ ، فَكانَ يَعودُ إِلى سَيِّدِهِ كُلَّما سَمِعَ ذٰلِكَ



ٱلصَّفيرَ ، فَيُقَدِّمُ لَهُ ٱلدُّكتُور رُويْلُوت وِعاءَ ٱللَّبَنِ .

«وَ كانَ مِنَ ٱلسَّهْلِ إِدْخالُهُ في فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، في وَقْتٍ يَتِمُّ ٱخْتِيارُهُ وَ تَحْديدُهُ ؛ وَ كانَ ٱلطَّبيبُ واثِقًا أَنَّ ٱلثُّعْبانَ سَيَهْبِطُ عَلى ٱلحَبْلِ وَ يَسْتَقِرُّ فَوْقَ ٱلفِراشِ ، ثُمَّ يَلْدَغُ ٱلشَّخْصَ ٱلرَّاقِدَ هُناكَ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَتَحَرَّكَ .

«وَ كانَ يَحْتَفِظُ بِٱلثُّعبانِ في ٱلصُّنْدوقِ ٱلحَديديِّ ، ٱلَّذي يُحْدِثُ عِنْدَ إِغْلاقِهِ صَوْتَ ٱلشَّيْءِ ٱلمَعْدِنيِّ ٱلَّذي سَمِعْناهُ .

«لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ ٱلفَحيحِ عِنْدَما تَسَلَّلَ ٱلثُّعْبانُ مِنْ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، فَعَرَفْتُ أَنّي كُنْتُ عَلى صَوابٍ في كُلِّ ٱسْتِنْتاجاتي . فَهاجَمْتُ ٱلثُّعْبانَ بِعَصايَ ، وَ أَرْغَمْتُهُ عَلى ٱلعَوْدةِ مِنْ خِلالِ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، وَ أَثارَ هٰذا غَضَبَ ٱلثُّعْبانِ ، لِـذٰلِكَ عادَ إِلى ٱلطَّبيبِ مُباشَرةً وَ لَدَغَهُ .

«وَلَعَلَّني أَكونُ بِـذٰلِكَ قَدْ قَتَلْتُ ٱلطَّبيبَ ، لٰكِنْ لا أَسْتَطيعُ ٱلقَوْلَ إِنَّني أَشْعُرُ بِأَيِّ أَسَفٍ لِـذٰلِكَ .»

هٰذِهِ هِيَ ٱلوَقائِعُ ٱلحَقيقِيَّةُ لِمَوْتِ ٱلدُّكتور رُويْلُوت ؛ وَ هُنا تَنْتَهي قِصَّتي .

بُذورُ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسُ

– ١ –

جَلَسَ إِلْياس أُوبِنْشو إِلى مائِدةِ ٱلإِفْطارِ ، يَتَأَمَّلُ خِطابًا كانَ مَوْضوعًا بِجِوارِ طَبَقِهِ . تَناوَلَهُ قائِلًا : «إِنَّهُ مِنَ ٱلهِنْدِ ! هٰذا خاتَمُ بَريدِ بُونْدشيري ! تُرى ماذا يَحْوي ؟»

فَتَحَ ٱلخِطابَ فَسَقَطَتْ مِنْهُ خَمْسُ بُذورٍ .. بُذورِ بُرْتُقالٍ .. شَيْءٌ غَريبٌ ! وَ ضَحِكَ ٱلشّابُّ ٱلَّذي يَجْلِسُ مَعَ عَمِّهِ إِلْياس إِلى ٱلمائِدةِ ، لٰكِنَّ ضَحْكَتَهُ تَلاشَتْ فَوْقَ شَفَتَيْهِ عِنْدَما رَأى وَجْهَ عَمِّهِ .

لَقَدْ فَتَحَ إِلْياس أُوبِنْشو فَمَهُ ، وَ جَحَظَتْ عَيْناهُ ، وَ شَحَبَ لَوْنُهُ ، وَٱرْتَجَفَتْ يَداهُ وَهُوَ يُمْسِكُ بِٱلخِطابِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَئِنُّ : «ك . ك . ك . !» وَ صاحَ فَجْأَةً : «يا إِلٰهي ! لَقَدْ وَجَدَني ! ماذا أَفْعَلُ ؟!»

صاحَ ٱلشّابُّ : «ما ٱلأَمْرُ يا عَمّي ؟»

قالَ إِلْياس : «ٱلمَوْتُ !» ثُمَّ نَهَضَ مِنْ فَوْقِ كُرْسِيِّهِ ، وَ غادَرَ ٱلغُرْفَةَ تارِكًا ٱلشّابَّ جُون أُوبِنْشو حائِرًا ، وَ قَدْ تَمَلَّكَهُ خَوْفٌ شَديدٌ .

اِلْتَقَطَ جُون ٱلخِطابَ . كانَ حَرْفُ «ك» مَكْتوبًا ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وَ لا شَيْءَ آخَرَ سِوى بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ ٱلجافَّةِ . وَ لَمْ يَجِدْ جُون في هٰذا سَبَبًا كافِيًا لِكُلِّ هٰذا ٱلرُّعْبِ ٱلَّذي أَصابَ عَمَّهُ .

غادَرَ جُون مائِدَةَ ٱلإفْطارِ . وَبَيْنَما كانَ يَصْعَدُ ٱلسُّلَّمَ قابَلَ عَمَّهُ يَهْبِطُ مُمْسِكًا بِإحْدى يَدَيْهِ مِفْتاحًا ضَخْمًا ، وَ بِاليَدِ ٱلأُخْرى صُنْدوقًا أَسْوَدَ صَغيرًا .

قالَ ٱلعَمُّ في غَضَبٍ : « لِيَفْعَلوا ما يُريدونَ ، لٰكِنَّني سَأَنْتَصِرُ في ٱلنِّهايَةِ . قُلْ لِلْحادِمَةِ ماري أَنْ تُشْعِلَ ٱلنّارَ في مِدْفَأَةِ غُرْفَتي ٱللَّيْلَةَ ، ثُمَّ ٱبْعَثْ في طَلَبِ ٱلْمُحامي فُوردهام . » فَهَزَّ جُون رَأْسَهُ مُوافِقًا .

كانَ جُون يَعيشُ مَعَ عَمِّهِ إلْياس مُنْذُ كانَ في ٱلثّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ . فَقَدْ عادَ عَمُّهُ إلى إنجلِترا عامَ ١٨٧٠ ، بَعْدَ أَنْ قَضى مُعْظَمَ حَياتِهِ في أُمْريكا ، شارَكَ خِلالَها في ٱلحَرْبِ ٱلأَهْلِيَّةِ ٱلأَمْريكِيَّةِ (١٨٦١ ١٨٦٥) .

بَعْدَ أَنِ ٱنْتَهَتِ ٱلحَرْبُ ، أَقامَ في فْلوريدا . وَ بَعْدَ أَنْ كَوَّنَ ثَرْوَةً طائِلَةً ، قَرَّرَ أَنْ يَعودَ إلى إنجلِترا ، حَيْثُ ٱشْتَرى مَنْزِلًا جَميلًا ، وَ قِطْعَةَ أَرْضٍ في مَدينَةٍ صَغيرَةٍ تُسَمَّى هُورْشام . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ أَوْ أَوْلادٌ ، فَطَلَبَ مِنْ أَخيهِ أَنْ يَسْمَحَ لِابْنِهِ جُون أَنْ يَعيشَ مَعَهُ . وَ كانَ شَديدَ ٱلعَطْفِ عَلى ٱلغُلامِ . وَ عِنْدَما بَلَغَ جُون ٱلسّادِسَةَ عَشْرَةَ ، أَصْبَحَ هُوَ ٱلمُشْرِفَ عَلى كُلِّ شُؤونِ ٱلبَيْتِ تَقْريبًا . فَقَدْ كانَ يَحْتَفِظُ بِكُلِّ ٱلمَفاتيحِ ، وَ يُمْسِكُ ٱلحِساباتِ ، وَ يَذْهَبُ حَيْثُ يَشاءُ ، وَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ . فَقَدْ كانَ إلْياس يُحِبُّ دائِمًا ٱلانْفِرادَ بِنَفْسِهِ .

كانَتْ في ٱلمَنْزِلِ غُرْفَةٌ واحِدَةٌ لَمْ يَسْمَحْ إلْياس لِجُون بِدُخولِها . كانَتْ مُغْلَقَةً دائِمًا بِالمِفْتاحِ ، وَ كانَ إلْياس يَحْتَفِظُ بِمِفْتاحِها . وَ كَثيرًا ما قامَ جُون ، في مُناسَباتٍ عَديدَةٍ ، مَدْفوعًا بِحُبِّ ٱلاسْتِطْلاعِ ٱلَّذي يُسَيْطِرُ عَلى ٱلصِّغارِ ،

بِالنَّظَرِ مِنْ ثَقْبِ ٱلبابِ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَبَدًا أَنْ يَرى أَكْثَرَ مِنْ مَجْموعَةٍ مِنَ ٱلصَّناديقِ ٱلقَديمَةِ .

٢ -

نَفَّذَ جُون تَعْليماتِ عَمِّهِ إلْياس ، وَ أَرْسَلَ في طَلَبِ ٱلمُحامي . وَ عِنْدَما وَصَلَ ٱلمُحامي فُورْدهام صَعِدَ مَعَهُ إلى ٱلغُرْفَةِ ٱلَّتي قَضى بِها ٱلعَمُّ فَتْرَةَ ٱلصَّباحِ .

كانَتِ ٱلنّارُ تَشْتَعِلُ بِشِدَّةٍ في ٱلمِدْفَأَةِ ، وَ قَدْ تَناثَرَتْ حَوْلَها بَقايا سَوْداءُ لِأَوْراقٍ مُحْتَرِقَةٍ . وَ كانَ ٱلصُّنْدوقُ ٱلصَّغيرُ ، ٱلَّذي شاهَدَ جُون عَمَّهُ يَحْمِلُهُ ، مَفْتوحًا وَ فارِغًا .



عِنْدَما كانَ جُون يَتَطَلَّعُ إلى ٱلصُّنْدوقِ ، لاحَظَ أَنَّ حَرْفَ ٱلكافِ مَكْتوبٌ عَلَيْهِ وَمُكَرَّرٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، تَمامًا كَما سَبَقَ أَنْ شاهَدَهُ مَكْتوبًا في ٱلخِطابِ وَقْتَ تَناوُلِ ٱلإِفْطارِ .

قالَ إِلْياس : « أُريدُكَ يافُورْدهام أَنْ تَكْتُبَ لي وَصِيَّتي . هاهِيَ ذي بَعْضُ ٱلأَوْراقِ بَيَّنْتُ لَكَ فيها مَنِ ٱلَّذي قَرَّرْتُ أَنْ يَرِثَ أَمْوالي وَمُمْتَلَكاتي بَعْدَ وَفاتي . »

بَيْنَما كانَ فُورْدهام يَكْتُبُ ٱلوَصِيَّةَ ، قالَ إِلْياس لِجُون : « سَأَتْرُكُ كُلَّ شَيْءٍ لِوالِدِكَ .. فَهُوَ أَخي . وَلاشَكَّ في أَنَّهُ سَيَتْرُكُها لَكَ كُلَّها في ٱلوَقْتِ ٱلمُناسِبِ .. أَنا لاأَعْرِفُ ماسَيَحْدُثُ .. هَيَّا ياجُون لِتُوَقِّعَ عَلى ٱلوَرَقَةِ في ٱلمَكانِ ٱلَّذي يُحَدِّدُهُ لَكَ ٱلسَّيِّدُ فُورْدهام . »

وَقَّعَ جُون عَلى ٱلوَصِيَّةِ ، كَشاهِدٍ عَلى تَوْقيعِ عَمِّهِ ، وَأَخَذَ ٱلمُحامي ٱلوَصِيَّةَ مَعَهُ عِنْدَما ٱنصَرَفَ .

أَثارَتْ هٰذِهِ ٱلأَحْداثُ ٱلغَريبَةُ حَيْرَةَ جُون ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ كَلامَ عَمِّهِ ، لٰكِنْ كانَ يَبْدو لَهُ أَنَّ في ٱلأَمْرِ سِرًّا .

مَرَّتِ ٱلأَيَّامُ ، يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . وَمَعَ مُرورِها ، بَدَأَ ٱهْتِمامُ جُون وَتَفْكيرُهُ في ٱلأَمْرِ يَقِلُّ شَيْئًا فَشَيْئًا ، في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي لَمْ يَحْدُثْ مايُمْكِنُ أَنْ يُغَيِّرَ نِظامَ حَياتِهِ ٱلهادِئَةِ هُوَ وَعَمِّهِ .

لاحَظَ جُون تَغَيُّرًا طَرَأَ عَلى عَمِّهِ ؛ فَقَدْ أَخَذَ يُكْثِرُ مِنَ ٱلشُّرْبِ ، وَيُغْلِقُ غُرْفَتَهُ عَلى نَفْسِهِ ، عازِفًا عَنْ رُؤْيَةِ أَيِّ شَخْصٍ . وَذاتَ يَوْمٍ خَرَجَ عَمُّهُ مِنْ غُرْفَتِهِ

ثائِرًا غاضِبًا وَٱندَفَعَ إلى ٱلحَديقَةِ وَهُوَ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ في يَدِهِ ، وَيَصْرُخُ قائِلًا : « لِماذا يَجِبُ أَنْ أَعيشَ سَجينًا كَأَنَّني مُجْرِمٌ مَحْكومٌ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ ؟! أَنا لا أَخافُ أَحَدًا ! »

وَفَجْأَةً تَمَلَّكَهُ ٱلخَوْفُ ، فَٱندَفَعَ عائِدًا إلى ٱلمَنْزِلِ ، وَدَخَلَ غُرْفَتَهُ ، وَأَغْلَقَ بابَهُ عَلى نَفْسِهِ مَرَّةً أُخرى .

– ٣ –

ذاتَ لَيْلَةٍ سَمِعَ جُون صَرْخَةً ، فَغادَرَ فِراشَهُ مُسْرِعًا إلى غُرْفَةِ عَمِّهِ . كانَ ٱلبابُ مَفْتوحًا ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا بِالغُرْفَةِ . فَٱندَفَعَ جُون ناحِيَةَ ٱلحَديقَةِ ، فَوَجَدَ ٱلبابَ ٱلمُؤَدِّيَ إِلَيْها مَفْتوحًا عَلى مِصْراعَيْهِ .

ذَهَبَ جُون وَأَيْقَظَ ٱلخادِمَ ، وَأَخَذَ مِصْباحًا ، وَخَرَجا يَبْحَثانِ عَنْ إِلْياس أوبِنْشو .

أَخيرًا وَجَدَ عَمَّهُ في نِهايَةِ ٱلحَديقَةِ ، مُنْكَفِئًا عَلى وَجْهِهِ في بِرْكَةِ ماءٍ صَغيرَةٍ جِدًّا ، وَقَدْ فارَقَتْهُ ٱلحَياةُ . لَمْ يَكُنْ عُمْقُ ٱلماءِ يَزيدُ عَلى نِصْفِ مِتْرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ مايُشيرُ إلى حُدوثِ مُقاوَمَةٍ . وَبِسَبَبِ سُلوكِهِ ٱلغَريبِ جِدًّا في ٱلأَشْهُرِ ٱلأَخيرَةِ ، فَقَدْ رَجَّحَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ أَنَّهُ ٱنْتَحَرَ .

لَمْ يَقْتَنِعْ جُون بِذٰلِكَ . كانَ يَعْرِفُ عَمَّهُ جَيِّدًا ، وَكانَ يَعْرِفُ مَدى حِرْصِهِ عَلى حَياتِهِ . لِذٰلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ عَمَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُقْدِمَ عَلى ٱلمَوْتِ

بِهٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ . لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ دَلِيلٌ عَلى أَنَّهُ قُتِلَ بِيَدِ شَخْصٍ آخَرَ ، أَوْ أَنَّ لَهُ أَعْداءً . وَ فَجْأَةً تَذَكَّرَ حادِثَةَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ عَلى مائِدَةِ ٱلإِفْطارِ .

هٰكَذا ٱنْتَهى ٱلأَمْرُ ، وَ آلَتْ إِلى والِدِ جُون ثَرْوَةُ إِلْياس وَ بَيْتُهُ طِبْقًا لِلْوَصِيَّةِ . وَ قَرَّرَ ٱلأَبُ وَ ٱبْنُهُ جُون أَنْ يَعِيشا في ٱلمَنْزِلِ .

عِنْدَما جاءَ ٱلأَبُ إِلى ٱلمَنْزِلِ ، طَلَبَ مِنْهُ جُون أَنْ يَفْحَصا مَعًا بِعِنايَةٍ ٱلغُرْفَةَ ٱلَّتي كانَتْ مُغْلَقَةً بِصِفَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ . لَمْ يَجِدا في داخِلِها غَيْرَ صُنْدوقٍ صَغِيرٍ ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا وَرَقَةٌ كُتِبَ عَلَيْها ٱلحَرْفُ «ك» ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وَمَكْتوبٌ في أَسْفَلِها «رَسائِلُ وإِيصالاتٌ» .

قالَ جُون لِوالِدِهِ : «لابُدَّ أَنَّ هٰذِهِ ٱلرَّسائِلَ وَ ٱلإِيصالاتِ هِيَ ما سَبَقَ أَنْ أَحْرَقَهُ عَمِّي .»

– ٤ –

ظَلَّ جُون وَوالِدُهُ يَعِيشانِ في سَعادَةٍ مُدَّةَ عامٍ بِأَكْمَلِهِ . وَ ذاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَما كانا يَجْلِسانِ إِلى مائِدَةِ ٱلإِفْطارِ ، سَمِعَ جُون فَجْأَةً صَيْحَةَ دَهْشَةٍ حادَّةً ، فَنَظَرَ إِلى والِدِهِ ، فَرَأى في يَدِهِ خِطابًا مَفْتوحًا ، وَ خَمْسَ بُذورِ بُرْتُقالٍ قَدِ ٱسْتَقَرَّتْ في طَبَقٍ أَمامَهُ .

كانَ ٱلأَبُ يَسْخَرُ دائِمًا مِنْ رِوايَةِ جُون عَن إِلْياس وَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ ، لٰكِنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ ٱلآنَ عَلاماتُ ٱلحَيْرَةِ وَ ٱلخَوْفِ .

قالَ والِدُ جُون هامِسًا : «بِحَقِّ ٱلسَّماءِ ، ما مَعْنى هٰذا يا جُون ؟!»



أجابَ جُون مُكْتَئِبًا : «إنَّها آل ك . ك . ك .»

«هٰذا ما يَقولُهُ الخِطابُ . هاهِيَ ذي الأَحْرُفُ ك . ك . ك . وَ جاءَ في الخِطابِ أَنْ أَضَعَ الأَوْراقَ على المَقْعَدِ الحَجَرِيِّ . أَيَّةُ أَوْراقٍ يا جُون ؟ وَ أَيُّ مَقْعَدٍ حَجَرِيٍّ ؟»

قالَ جُون : «لا يُوجَدُ مَقْعَدٌ حَجَرِيٌّ إِلَّا في الحَديقَة ، أَمَّا الأَوْراقُ فَلا بُدَّ أَنْ تَكونَ تِلْكَ الأَوْراقَ الَّتي أَحْرَقَها عَمِّي إِلْياس .»

قالَ الأَبُ وَ قَدِ اسْتَعادَ شَجاعَتَهُ : «حَسَنًا ، هٰذا كُلُّهُ لا مَعْنَى لَهُ . مِنْ أَيْنَ جاءَ هٰذا الخِطابُ ؟»

وَ نَظَرَ جُون إِلى خاتَمِ البَريدِ وَ قالَ : «مِنْ دَنْدِي في اسْكُتْلَنْدا .»

«لِماذا يَكْتُبونَ إِلَيَّ عَنْ مَقاعِدَ حَجَرِيَّةٍ وَ أَوْراقٍ ؟ . لَنْ أُعيرَ مِثْلَ هٰـذا الخِطابِ السَّخيفِ أَيَّ اهْتِمامٍ .»

قالَ جُون : «يَجِبُ أَنْ نُبْلِغَ الشُّرْطَةَ .»

«لِكَيْ يَسْخَروا مِنَّا ؟! لا .. لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ هٰذا .»

«إِذًا دَعْني أَنا أَذْهَبُ إِلَيْهِمْ .»

«لا .. إِنّي أَمْنَعُكَ .» وَ أَدْرَكَ جُون أَنَّ والِدَهُ مُصَمِّمٌ على رَأْيِهِ ، فَسَكَتَ .

وَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ، قَرَّرَ والِدُهُ أَنْ يُسافِرَ لِزِيارَةِ صَديقٍ في مَكانٍ غَيْرِ بَعيدٍ .

وَ ارْتاحَ جُون لِذٰلِكَ ، فَقَدِ اعْتَقَدَ أَنَّ أَباهُ سَيَكونُ في أَمانٍ عِدَّةَ أَيّامٍ بَعيدًا عَنِ المَنْزِلِ .

لٰكِنَّهُ كانَ مُخْطِئًا . فَبَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنْ سَفَرِ الأَبِ ، تَسَلَّمَ جُون رِسالَةً تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ فَوْرًا إِلى مَنْزِلِ الصَّديقِ الَّذي سافَرَ إِلَيْهِ والِدُهُ .

هُناكَ قالَ لَهُ الصَّديقُ في حُزْنٍ : «لَقَدْ سَقَطَ والِدُكَ مِنْ فَوْقِ صَخْرَةٍ عالِيَةٍ ، وَ وَجَدْتُهُ مُلْقًى هُناكَ ، لٰكِنَّهُ ماتَ دونَ أَنْ يُخْبِرَني بِأَيِّ شَيْءٍ .»

– ٥ –

كانَ جُون واثِقًا أَنَّ وَفاةَ والِدِهِ لا يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ حادِثًا عارِضًا . وَ عِنْدَما ذَهَبَ إِلى المَكانِ الَّذي سَقَطَ مِنْهُ والِدُهُ ، لَمْ يَجِدْ هُناكَ آثارَ مُقاوَمَةٍ ، أَوْ آثارَ أَقْدامٍ ، وَلَمْ يُسْرَقْ شَيْءٌ مِنْ جُيوبِ والِدِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ مَنْ شاهَدَ إِنْسانًا غَريبًا في المِنْطَقَةِ . وَ رَغْمَ ذٰلِكَ ، لَمْ يَقْتَنِعْ جُون بِأَنَّ والِدَهُ ماتَ مِيتَةً طَبيعِيَّةً كَما قالَ الصَّديقُ . كانَ واثِقًا مِنْ أَنَّ هُناكَ مَنْ تَسَبَّبَ في وَفاتِهِ .

فَكَّرَ جُون في أَنْ يَتْرُكَ المَنْزِلَ الَّذي كانَ يَوْمًا مِلْكًا لِعَمِّهِ إِلْياس ثُمَّ لِوالِدِهِ . لِماذا لا يَبيعُهُ وَ يَذْهَبُ لِيَعيشَ في أَيِّ مَكانٍ بَعيدٍ ، وَ يَهْرُبُ مِنَ المَصيرِ المُخيفِ الَّذي أَخَذَ يَقْتَرِبُ مِنْهُ بِبُطْءٍ ؟!

قالَ جُون لِنَفْسِهِ : «لا أَظُنُّ أَنَّ الهَرَبَ مُمْكِنٌ . إِنَّ كُلَّ ما حَدَثَ سَبَبُهُ شَيْءٌ ما فَعَلَهُ عَمّي إِلْياس أَثْناءَ حَياتِهِ ، وَ هٰـذا مَصْدَرُ الخَطَرِ الَّذي سَيُلاحِقُني أَيْنَما كُنْتُ في هٰذا البَيْتِ أَوْ في غَيْرِهِ .»





لِذٰلِكَ واصَلَ ٱلعَيْشَ في نَفْسِ ٱلمَنْزِلِ مُدَّةً بَلَغَتْ حَوالى ثَلاثَةِ أَعْوامٍ . كانَ سَعيدًا حَقًّا ، وَ كانَ يَنْسى في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ كُلَّ ما يَتَعَلَّقُ بِالطَّريقَةِ ٱلغَريبَةِ ٱلَّتي ماتَ بِها عَمُّهُ وَ أَبوهُ . وَ كانَ يَظُنُّ أَحْيانًا أَنَّ ٱللَّعْنَةَ ٱلَّتي حَلَّتْ بِالعائِلَةِ قَدِ ٱنْتَهَتْ .

لٰكِنَّهُ كانَ مُخْطِئًا . فَذاتَ صَباحٍ ، فَتَحَ خِطابًا ، فَسَقَطَتْ مِنْهُ خَمْسُ حَبّاتٍ مِنْ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ . إِرْتَمى جون عَلى مَقْعَدٍ ، وَ شَرَدَ بِفِكْرِهِ لَحَظاتٍ ، ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ ٱلآنَ أَنْ أَذْهَبَ إِلى رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ . يَجِبُ ٱتِّخاذُ إِجْراءٍ هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ . » ثُمَّ طَرَأَتْ لَهُ فِكْرَةٌ أَفْضَلُ : لَقَدْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ سَمِعَ صَديقًا يَتَحَدَّثُ عَنْ مُخْبِرٍ سِرِّيٍّ بارِعٍ في عَمَلِهِ ، لَمْ يَفْشَلْ أَبَدًا في ٱلكَشْفِ عَنِ ٱلمُجْرِمينَ .

في ٱلحالِ ، ذَهَبَ جون إِلى صَديقِهِ ، وَحَدَّثَهُ في أَمْرِ ٱلمُخْبِرِ ٱلسِّرِّيِّ ٱلبارِعِ . قالَ لَهُ ٱلصَّديقُ : « أَنْتَ تَقْصِدُ شِيرْلوك هُولمْز ! »

وَ نَظَرَ إِلى جون بِفُضولٍ ، لٰكِنَّ جون لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَما إِنْ أَخَذَ جون عُنوانَ ٱلمُخْبِرِ ، حَتّى ٱنْطَلَقَ إِلى لَنْدَن بِأَقْصى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ .

- ٦ -

كانَ شِيرْلوك هُولمْز وَ ٱلدُّكْتور واطْسُن يَقْضِيانِ أُمْسِيَةً هادِئَةً مَعًا ، عِنْدَما دَقَّ جَرَسُ ٱلبابِ .

تَساءَلَ واطْسُن : « أَهٰذا جَرَسُ ٱلبابِ ؟ مَنْ ذا ٱلَّذي يَأْتي لِزِيارَتِكَ في مِثْلِ هٰذا ٱلوَقْتِ ٱلمُتَأَخِّرِ يا هُولمْز ؟ لَعَلَّهُ أَحَدُ أَصْدِقائِكَ ؟ »

قالَ هُولمْز : « لَيْسَ لي أَصْدِقاءُ غَيْرُكَ . »

« إِذًا فَهُوَ شَخْصٌ يَطْلُبُ مَعونَتَكَ . »

« إِذا كانَ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ ، وَفي مِثْلِ هٰذا ٱلوَقْتِ ٱلمُتَأَخِّرِ مِنَ ٱللَّيْلِ ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ أَمْرًا خَطيرًا . »

مَدَّ هُولمْز ذِراعَهُ لِيُديرَ ٱلمِصْباحَ بَعيدًا عَنْهُ ، فَسَقَطَ ضَوْؤُهُ عَلى ٱلمَقْعَدِ ٱلَّذي سَيَجْلِسُ عَلَيْهِ ٱلقادِمُ ٱلجَديدُ . ثُمَّ قامَ وَ فَتَحَ ٱلبابَ ، وَ قالَ : « تَفَضَّلْ بِالدُّخولِ . » وَ دَخَلَ جون .

نَظَرَ هُولمز وَ واطْسُن إلى ٱلضَّيْفِ . إنَّهُ شابٌّ وَسيمٌ ، في حَوالَى ٱلثّانِيَةِ وَ ٱلعِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ . وَجْهُهُ شاحِبٌ وَ عَيْناهُ مُتْعَبَتانِ ، كَعَيْنَيْ رَجُلٍ ٱمْتَلأَتْ نَفْسُهُ بِقَلَقٍ شَديدٍ .

نَظَرَ جُون حَوْلَهُ في ٱضْطِرابٍ قائِلًا : « أَرْجو ٱلمَعْذِرَةَ إذا كُنْتُ قَدْ جِئْتُ في ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ ٱللَّيْلِ . »

« هَلْ أَتَيْتَ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ ؟ »

« نَعَمْ ! مِنْ هُورْشام . لَقَدْ جِئْتُ أَطْلُبُ ٱلنَّصيحَةَ . »

« مِنَ ٱلسَّهْلِ أَنْ تَحْصُلَ عَلَيْها . »

« وَ ٱلمُساعَدَةَ . »

« آهٍ ، هٰذِهِ لَيْسَتْ سَهْلَةً دائِمًا . »

« لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ يامِسْتَر هُولمز ، وَ قَدْ أَرْسَلَني صَديقٌ إِلَيْكَ . قالَ إنَّكَ لاتَفْشَلُ أَبَدًا . »

« لَقَدْ بالَغَ كَثيرًا . »

« .. وَإِنَّكَ لَمْ تُواجِهِ ٱلهَزيمَةَ أَبَدًا . »

« لَقَدْ واجَهْتُ ٱلهَزيمَةَ ثَلاثَ مَرّاتٍ مَعَ رِجالٍ ، وَ مَرَّةً مَعَ ٱمْرَأَةٍ . »

« لٰكِنْ هُناكَ مِئاتٌ مِنَ ٱلانْتِصاراتِ . »

« نَعَمْ .. ٱلواقِعُ أَنَّني أَنْجَحُ في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ . »

« إذًا أَرْجو أَنْ تَنْجَحَ مَعي »

قالَ هُولمز : « أَرْجو أَنْ تُقْتَرِبَ بِمَقْعَدِكَ مِنَ ٱلمِدْفَأَةِ ، وَ أَنْ تُخْبِرَني بِكُلِّ شَيْءٍ . »

قالَ جُون : « إنَّها قِصَّةٌ غَيْرُ عادِيَّةٍ . »

« أنا لا تَأْتيني قَضِيَّةٌ عادِيَّةٌ ، فَٱلنّاسُ لا يَجيئُونَ إلّا آخِرَ ٱلأَمْرِ . بَلْ حَتّى رُبَّما بَعْدَ أَنْ يَفْشَلَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ . وَ ٱلآنَ ، أَخْبِرْني بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَ بَعْدَئِذٍ سَأَسْأَلُكَ عَنِ ٱلأَشْياءِ ٱلَّتي تَبْدو لي عَلى جانِبٍ كَبيرٍ مِنَ ٱلأَهَمِّيَّةِ . »

٧

قَصَّ عَلَيْهِ جُون ٱلقِصَّةَ مُنْذُ ٱلبِدايَةِ . أَخْبَرَهُ عَنْ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ وَ خِطاباتِ ٱلأَحْرُفِ « ك . ك . ك . » ٱلغَريبَةِ ، وَ عَنْ ظُروفِ مَوْتِ والِدِهِ وَ عَمِّهِ .. أَخْبَرَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ ٱلخِطابَ ٱلَّذي وَصَلَهُ في نَفْسِ ٱليَوْمِ ، وَ وَضَعَهُ مَعَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ عَلى ٱلمائِدَةِ أَمامَ هُولمز .

قالَ : « سَتَرى أَنَّ خاتَمَ ٱلبَريدِ مِنْ لَنْدَن ، وَ خاتَمُ ٱلبَريدِ ٱلَّذي جاءَ لِوالِدي مِنْ دَنْدي بِاسْكُتْلَنْدا ، وَ ٱلَّذي جاءَ لِعَمّي كانَ مِنْ بونْدِشيري بِالهِنْدِ . »

سَأَلَهُ هُولمز : « ماذا فَعَلْتَ ؟ »

« لاشَيْءَ . »

«لاشَيْءَ !!»

قالَ جُون : «إنَّني في ٱلحَقيقَةِ أشْعُرُ بالعَجْزِ ، فَهُناكَ شَرٌّ يَقْتَرِبُ مِنّي وَلا أجِدُ وَسيلةً لِدَفْعِهِ عَنّي . لَقَدْ أصابَتْني ٱللَّعْنَةُ .» ثُمَّ مالَ بِرَأْسِهِ ، وَوَضَعَ وَجْهَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلنَّحيلَتَيْنِ ٱلبَيْضاوَيْنِ .

صاحَ شيرْلُوك هُولمْز : «لاتَفْعَلْ هٰذا .. يَجِبُ أنْ تَتَصَرَّفَ كَالرِّجالِ .. لاتَيْأسْ .»

هَزَّ جُون رَأْسَهُ قائلًا : «أنْتَ لاتَفْهَمُ ٱلأمْرَ .»

جَلَسَ شيرْلُوك هُولمْز ساكِنًا لَحَظاتٍ ، ثُمَّ سَألَهُ : «لِماذا لَمْ تَأْتِني فَوْرًا ؟ كانَ يَجِبُ أنْ تَحْضُرَ مُنْذُ ٱلبِدايَةِ . وَمَعَ هٰذا .. هَلْ لَدَيْكَ ٱلآنَ أيَّةُ أوْراقٍ مِنْ أوْراقِ عَمِّكَ يُمْكِنُ أنْ تَكونَ ذاتَ فائِدَةٍ ؟»

قالَ جُون : «هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ .» ثُمَّ عَرَضَ عَلى هُولمْز وَرَقَةً ٱحْتَرَقَتْ أطْرافُها ، وَقالَ : «وَجَدْتُ هٰذِهِ ٱلوَرَقَةَ في غُرْفَةِ عَمّي . إنَّها بِخَطِّهِ هُوَ .»

حَرَّكَ هُولمْز ٱلمِصْباحَ ، وَمالَ هُوَ وَواطْسُن عَلى ٱلوَرَقَةِ . كانَتْ مُؤَرَّخَةً في مارِس (آذار) عامَ ١٨٦٩ ، وَكُتِبَ تَحْتَ ٱلتّاريخ :

رابِعًا : أتى دَوْرُ هَدْسون .

خامِسًا : أُرْسِلَتِ ٱلبُذورُ إلى بارامُور وَسْوِيْن .

تاسِعًا : ٱلتَّخَلُّصُ مِنْ بارامُور .

عاشِرًا : تَمَّتْ زِيارَةُ سْوِيْن .

تَمَّ بِنَجاحٍ .

قالَ هُولمْز وَهُوَ يُعيدُ ٱلوَرَقَةَ إلى جُون : «شُكْرًا لَكَ . لَيْسَ لَدَيْنا ٱلآنَ وَقْتٌ لِلْحَديثِ فيما أخْبَرْتَني بِهِ . وَيَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَعودَ فَوْرًا إلى مَنْزِلِكَ ، وَتَتَصَرَّفَ .»

«ماذا أفْعَلُ ؟»

«هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ عَلَيْكَ أنْ تَفْعَلَهُ في ٱلحالِ . يَجِبُ أنْ تَضَعَ هٰذِهِ ٱلوَرَقَةَ ٱلَّتي عَرَضْتَها عَلَيْنا داخِلَ ٱلصُّنْدوقِ ٱلأسْوَدِ ، وَتَضَعَ مَعَها مُذَكِّرَةً تَقولُ فيها إنَّ عَمَّكَ قَدْ أحْرَقَ كُلَّ ٱلأوْراقِ ٱلأُخْرى . ثُمَّ ضَعِ ٱلصُّنْدوقَ عَلى ٱلمَقْعَدِ ٱلحَجَرِيِّ . هَلْ فَهِمْتَ ؟»

«نَعَمْ .. نَعَمْ .»

«يَجِبُ أوَّلًا أنْ نُبْعِدَ ٱلخَطَرَ ٱلمُحيطَ بِكَ ، وَبَعْدَئِذٍ نَكْشِفُ ٱلغُموضَ ، وَنَقْبِضُ عَلى ٱلجُناةِ .»

قالَ جُون : «أشْكُرُكَ .. لَقَدْ مَنَحْتَني حَياةً وَأمَلًا جَديدَيْنِ . وَسَأُنَفِّذُ بِالتَّأْكيدِ ما نَصَحْتَني بِهِ .»

«لاتُضَيِّعْ أيَّ وَقْتٍ . كُنْ حَريصًا . أنا واثِقٌ أنَّكَ مُعَرَّضٌ لِخَطَرٍ حَقيقِيٍّ . كَيْفَ سَتَعودُ إلى مَنْزِلِكَ ؟»

«بِالقِطارِ مِنْ مَحَطَّةِ وُوتِرْلُو .»

«إحْرِصْ عَلى نَفْسِكَ جَيِّدًا .»

«إنَّني مُسلَّحٌ».

«أحسَنتَ .. سأبدأُ العَمَلَ غدًا في قضيَّتِكَ».

قالَ جُون: «سأراكَ إذًا في هُورْشام».

«لا! سِرُّ مَوْضوعِكَ يَكْمُنُ في لَنْدَن، وَسأبْحَثُ عَنْهُ هُنا».

«إذًا سأُعَرِّجُ عَلَيْكَ خِلالَ يَوْمٍ أوْ يَوْمَيْنِ، لِأُخبِرَكَ عَمَّا يَجِدُّ بِالنِّسبَةِ لِلصُّنْدُوقِ وَالأَوْراقِ. وَالآنَ إلى اللِّقاءِ».

وَبَعْدَ أنْ خَرَجَ جُون، جَلَسَ شِرْلُوك هُولمز صامِتًا بَعْضَ الوَقْتِ. وَقَدْ أحْنَى رَأسَهُ، وَأَخَذَ يَتَطَلَّعُ إلى المِدْفأةِ، ثُمَّ أشْعَلَ غليُونَهُ.

– ٨ –

قالَ هُولمز أخيرًا: «أعْتَقِدُ يا واطسُن أنَّ هٰذِهِ القَضِيَّةَ أكْثَرُ تَعْقيدًا مِنْ أيِّ قَضِيَّةٍ تَصَدَّيْنا لَها مِنْ قَبْلُ».

قالَ واطسُن: «نَعَمْ .. هٰذا صَحيحٌ. وَيَبْدو أنَّ جُون تُحيطُ بِهِ أخطارٌ شَديدَةٌ، وَمَعَ ذٰلِكَ لا نَستَطيعُ أنْ نُحَدِّدَ هٰذِهِ الأخطارَ: ما هٰذِهِ الـ (ك. ك. ك.) وَلِماذا تُطارِدُ هٰذِهِ العائلةَ التَّعِسةَ؟!»

قالَ هُولمز: «يُمْكِنُنا أوَّلًا أنْ نَستَنْتِجَ أنَّ إلْياس أوبِنْشو كانَتْ لَدَيْهِ أسْبابٌ قَوِيَّةٌ حَمَلَتْهُ عَلى مُغادَرَةِ أمريكا. إنَّ الرِّجالَ في مِثْلِ عُمْرِهِ لا يُغَيِّرونَ أسلوبَهُم في الحَياةِ، ولا يَتْرُكونَ بِاختيارِهِمْ جَوَّ فْلوريدا الدَّافِئَ، لِيَعيشوا في مَدينَةٍ إنجليزيَّةٍ».

قالَ واطسُن: «تَدُلُّ رَغْبَتُهُ في أنْ يَعيشَ حَياةً مُنعَزِلَةً في إنجلترا، عَلى أنَّهُ كانَ يَخْشَى شَخْصًا أوْ شَيْئًا ما».

«هَلِ استرْعَى انتِباهَكَ اختِلافُ أختامِ البَريدِ عَلى تِلْكَ الخِطاباتِ الَّتي ذَكَرَها لَنا جُون؟»

أجابَ واطسُن: «قالَ جُون إنَّ الأوَّلَ كانَ مِنْ بُونْدشيري، وَالثَّانِيَ مِنْ دَنْدي، وَالثَّالِثَ مِنْ لَنْدَن».

«ماذا تَستَنْتِجُ مِنْ هٰذا؟»

«جَميعُها مَوانِئُ بَحْرِيَّةٌ. وَمِنَ المُحْتَمَلِ أنَّ كاتِبَ تِلْكَ الخِطاباتِ كانَ عَلى ظَهْرِ سَفينَةٍ».

«رائعٌ يا عَزيزي واطسُن. هٰذِهِ بِدايَةٌ طَيِّبَةٌ! إنَّ الخِطابَ الَّذي جاءَ مِنْ بُونْدشيري تَسَلَّمَهُ إلْياس قَبْلَ قَتْلِهِ بِسَبْعَةِ أسابيعَ، وَالَّذي جاءَ مِنْ دَنْدي وَصَلَ قَبْلَ قَتْلِ والِدِ جُون بِثَلاثَةِ أوْ أرْبَعَةِ أيَّامٍ. فَماذا تَستَنْتِجُ مِنْ هٰذا؟»

«لا أستَطيعُ أنْ أستَنْتِجَ شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ النَّاحِيَةِ».

«أظُنُّ أنَّ تَفسيرَ هٰذِهِ المَسْألَةِ هُوَ أنَّ الخِطاباتِ وَصَلَتْ بِسَفينَةٍ تِجارِيَّةٍ، لٰكِنَّ القاتِلَ وَصَلَ عَلى سَفينَةٍ شِراعِيَّةٍ يَستَغْرِقُ وُصولُها وَقْتًا أطْوَلَ».

قالَ واطسُن: «هٰذا مُمْكِنٌ».

قالَ هُولمز: «بَلْ هٰذا هُوَ الأرْجَحُ، لِذٰلِكَ نَستَطيعُ الآنَ أنْ نُدْرِكَ الخَطَرَ

ٱلَّذي يَتَعَرَّضُ لَهُ جُون أُوبِنْشو – لَقَدْ تَمَّ إرسالُ هٰذا ٱلخِطابِ إلَيْهِ مِنْ لَنْدَن ، وَمَعْنى هٰذا أَنَّ ٱلوَقْتَ لا يَحْتَمِلُ ٱلتَّأْخيرَ .»

صاحَ واطْسُن : «ما مَعْنى هٰذِهِ ٱلجَرائِمِ ٱلَّتي لا نِهايَةَ لَها ؟»

«الأَوْراقُ ٱلَّتي كانَتْ في حَوْزَةِ إلْياس أُوبِنْشو لَها أَهَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ عِنْدَ ٱلشَّخْصِ أَوِ ٱلأَشْخاصِ ٱلَّذينَ أَتَوْا عَلى ظَهْرِ ٱلسَّفينَةِ ٱلشِّراعِيَّةِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّ هُناكَ شَخْصَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ، وَأَنَّهُمْ مُصَمِّمونَ عَلى ٱسْتِرْدادِ تِلْكَ ٱلأَوْراقِ .»

«قَدْ تُشيرُ إذًا ٱلأَحْرُفُ (ك. ك. ك.) إلى أَكْثَرَ مِنْ شَخْصٍ واحِدٍ ؟»

مالَ شِرْلوك هُولْمز إلى ٱلأَمامِ قائِلًا بِصَوْتٍ خَفيضٍ : «أَلَمْ تَسْمَعْ أَبَدًا عَنْ كُو كْلُوكْس كْلان ؟»

«لا ، لَمْ أَسْمَعْ عَنْها .»

«لَقَدْ نَشَأَتْ في أَمْريكا بَعْدَ ٱلحَرْبِ ٱلأَهْلِيَّةِ . كانَتْ عِصابَةً مِنَ ٱلأَشْرارِ أَخَذَتْ تَقْتُلُ ٱلنّاسَ وَتُهَدِّدُ أَيَّ شَخْصٍ لا يُنَفِّذُ ما تَطْلُبُهُ . كانَتْ عِصابَةُ ٱلكُو كْلُوكْس كْلان تُرْسِلُ تَحْذيرًا لِمَنْ تَنْزِلُ بِهِ نِقْمَتُها ، فَلا يَعْرِفُ ٱلأَمانَ بَعْدَ ذٰلِكَ في أَيِّ مَكانٍ ، وَيُصْبِحُ مَوْتُهُ مُؤَكَّدًا . وَكانَتْ أَساليبُ عَمَلِهِمْ دَقيقَةً جِدًّا ، حَتّى ظَهَرَ كَأَنَّهُمْ يَنْجَحونَ دائِمًا في أَعْمالِهِمِ ٱلفَظيعَةِ . وَلَمْ تَسْتَطِعِ ٱلحُكومَةُ ٱلأَمْريكِيَّةُ أَنْ تَقْضِيَ عَلى هٰذِهِ ٱلعِصابَةِ حَتّى عامِ ١٨٦٩ .»

قالَ واطْسُن : «فَهِمْتُ .. إنَّ عامَ ١٨٦٩ هو ٱلعامُ ٱلسّابِقُ لِعَوْدَةِ إلْياس

أُوبِنْشو إلى إنجلترا ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكونَ هٰذِهِ ٱلأَوْراقُ ، ٱلَّتي أَحْضَرَها مَعَهُ في ٱلصُّنْدوقِ ٱلأَسْوَدِ ، أَوْراقًا هامَّةً تَتَعَلَّقُ بِهٰذِهِ ٱلعِصابَةِ ، وَتَكونُ مَبْعَثَ خَوْفٍ هائِلٍ لِأَفْرادِها . إنَّ قِطْعَةَ ٱلوَرَقِ ٱلمُحْتَرِقَةَ ٱلَّتي رَأَيْنا فيها ٱلتَّواريخَ وَٱلأَسْماءَ ٱلمُتَعَلِّقَةَ بِالأَوْقاتِ وَٱلأَماكِنِ ٱلَّتي أُرْسِلَتْ بُذورُ ٱلبُرْتُقالِ إلَيْها تُشَكِّلُ خَطَرًا داهِمًا عَلى ٱلشَّخْصِ ٱلَّذي يَحْتَفِظُ بِها .»

قالَ هُولْمز : «لَنْ نَسْتَطيعَ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا ٱللَّيْلَةَ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ فُرْصَةَ جُون ٱلوَحيدَةَ لِلنَّجاةِ هِيَ أَنْ يَعْمَلَ ما طَلَبْتُهُ مِنْهُ .»



- ٩ -

كانَتِ ٱلشَّمْسُ ساطِعةً في صَباحِ ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي ، وَكانَ شِيرْلُوك هُولمْز يَتَناوَلُ إفْطارَهُ عِنْدَما ٱنْضَمَّ إِلَيْهِ واطْسُن .

بَيْنَما كانَ واطْسُن يَنْتَظِرُ إفْطارَهُ ، ٱلْتَقَطَ ٱلصَّحيفةَ ٱلْمَطْوِيَّةَ مِنْ فَوْقِ ٱلْمائِدَةِ . وَما إنْ فَتَحَها حَتّى صاحَ : «هُولمْز ! لَقَدْ تأخَّرْنا كَثيرًا !»

قالَ هُولمْز : «هٰذا ما كُنْتُ أخْشاهُ ! كَيْفَ حَدَثَ هٰذا ؟»

كانَ يَتَحَدَّثُ بِهُدوءٍ ، لٰكِنَّ واطْسُن ٱسْتَطاعَ أَنْ يُدْرِكَ مَدى ٱلَمِهِ . نَظَرَ واطْسُن في ٱلصَّحيفةِ ، وَقَرأَ هٰذا ٱلخَبَرَ : «سَمِعَ أَحَدُ رِجالِ ٱلشُّرْطةِ أثْناءَ قِيامِهِ بِعَمَلِهِ بِالقُرْبِ مِنْ جِسْرِ ووتِرْلو صَرْخةَ ٱسْتِغاثَةٍ ، ثُمَّ صَوْتَ سُقوطِ شَخْصٍ في ٱلنَّهْرِ . وأَطْلَقَ الشُّرْطِيُّ صَفّارَتَهُ ، وَتَجَمَّعَ النّاسُ لِيُقَدِّموا مَعونَتَهُمْ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطيعوا أَنْ يَفْعَلوا شَيْئًا . وَتَمَّ إخْراجُ ٱلجُثَّةِ مِنَ ٱلنَّهْرِ ، وَوَجَدوا في جَيْبِ ٱلغَريقِ خِطابًا ٱتَّضَحَ مِنْهُ أَنَّ ٱسْمَهُ أوبِنْشو .»

نَظَرَ واطْسُن إلى هُولمْز ، وسادَ ٱلصَّمْتُ لَحْظةً قالَ هُولمْز بَعْدَها : «كَمْ يُؤْلِمُني هٰذا يا واطْسُن ! يُؤْلِمُني حَقًّا ! لَقَدْ جاءَ هٰذا ٱلشّابُّ يَطْلُبُ مُساعَدَتي فَأَرْسَلْتُهُ إلى حَتْفِهِ . إنّي بِإِذْنِ ٱللهِ سَأَقْضي عَلى هٰؤُلاءِ ٱلقَتَلَةِ ؛ سَأَقْضي عَلَيْهِمْ حَتّى لَوِ ٱقْتَضى ٱلأَمْرُ قَتْلَهُمْ بِيَدَيَّ هاتَيْنِ .»

وَقَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ ، وَأَخَذَ يَتَمَشّى في ٱلغُرْفَةِ ذَهابًا وَإيابًا ، وَقَدِ ٱحْمَرَّ وَجْهُهُ . قالَ : «لا بُدَّ أَنَّهُمْ جَماعةٌ مِنَ ٱلشَّياطينِ ! حَسَنًا يا واطْسُن ! سَنَرى مَنِ ٱلَّذي سَيَنْتَصِرُ أخيرًا . سَأَخْرُجُ ٱلآنَ .»

- ١٠ -

لَمْ يَرَ واطْسُن هُولمْز مَرَّةً أُخْرى إلّا في ٱلمَساءِ .

عِنْدَما دَخَلَ هُولمْز ، تَناوَلَ بُرْتُقالةً ، وَقَطَّعَها عِدَّةَ قِطَعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ بُذورَها ، وَوَضَعَها فَوْقَ ٱلمائِدةِ ، ثُمَّ وَضَعَ خَمْسًا مِنْ تِلْكَ ٱلبُذورِ في مَظْروفٍ وَأَغْلَقَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِ ٱلعُنوانَ ٱلتّالي :

الرُّبّانُ جيمْس كالْهون

السَّفينَةُ ٱلشِّراعِيَّةُ «النَّجْمةُ ٱلوَحيدةُ»

سافانّاه

جُورْجِيا

أمْريكا

وَقالَ : «سَيَبْقى هٰذا ٱلخِطابُ في ٱنْتِظارِهِ حَتّى يَصِلَ ، وَقَدْ يَصِلُهُ في لَيْلَةٍ يَطيرُ فيها ٱلنَّوْمُ مِنْ عَيْنَيْهِ .»

سَأَلَ واطْسُن : «مَنْ هُوَ هٰذا ٱلرُّبّانُ ؟»

«إنَّهُ زَعيمُ هٰؤُلاءِ ٱلشَّياطينِ ، وَسَأَقْضي عَلى بَقِيَّةِ أَفْرادِ ٱلعِصابةِ أَيْضًا ، لٰكِنَّهُ سَيَكونُ أَوَّلَهُمْ . لَقَدْ أَمْضَيْتُ ٱليَوْمَ كُلَّهُ في مِياهِ لَنْدَن ، أَفْحَصُ سِجِلّاتِ ٱلسُّفُنِ ٱلَّتي كانَتْ في بُونْدِشيري في ٱلتّاريخِ ٱلَّذي تَمَّ فيهِ إرْسالُ أَوَّلِ خِطابٍ ، وَقَدْ عَثَرْتُ عَلى ٱلنَّجْمةِ ٱلوَحيدةِ ٱلَّتي جاءَتْ مِنْ أَمْريكا . ثُمَّ فَحَصْتُ

سِجلاتِ ٱلسُّفُنِ ٱلَّتي كانَتْ في دَنْدي ، فَوَجَدْتُ أَيْضًا (ٱلنَّجْمَةَ ٱلوَحيدَةَ) في ٱلتّاريخِ ٱلَّذي تَوَقَّعْتُهُ . وَأَخيرًا وَجَدْتُ أَنَّ (ٱلنَّجْمَةَ ٱلوَحيدَةَ) قَدْ وَصَلَتْ ميناءَ لَنْدَن ٱلأُسْبوعَ ٱلماضِيَ ، لٰكِنَّها أَبْحَرَتْ إلى سافانّاه هٰذا ٱلصَّباحَ . »

« وَماذا تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ إذًا ؟ »

« إنّي أُراقِبُهُمْ ، فَهُناكَ ثَلاثَةُ رِجالٍ أَمْريكِيّينَ يُسافِرونَ عَلى ظَهْرِ ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ . وَقَدْ عَرَفْتُ أَيْضًا أَنَّهُمْ ثَلاثَتَهُمْ لَمْ يَكونوا عَلى ظَهْرِها ٱللَّيْلَةَ ٱلماضِيَةَ . إنَّهُمُ ٱلقَتَلَةُ .

« عِنْدَما يَصِلونَ إلى مِياهِ سافانّاه ، سَتَكونُ سَفينَةُ ٱلبَريدِ قَدْ حَمَلَتْ هٰذا ٱلخِطابَ إلى هُناكَ ، لِأَنَّها أَسْرَعُ مِنَ ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ ، ٱلشِّراعِيَّةِ . وَسَأُرْسِلُ رِسالَةً إلى رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ في سافانّاه بِأَنَّ هٰؤُلاءِ ٱلرِّجالَ ٱلثَّلاثَةَ مَطْلوبونَ هُنا لِٱتِّهامِهِمْ في جَرائِمِ قَتْلٍ . »

مِسْكينٌ شيرْلوك هولْمز ! لَقَدِ ٱنْتَهَتْ كُلُّ خُطَطِهِ إلى لا شَيْءَ ، وَلَمْ يَتَسَلَّمْ قَتَلَةُ جون أوبِنْشو بُذورَ ٱلبُرْتُقالِ ٱلَّتي أَرْسَلَها في ٱلخِطابِ .

لَقَدِ ٱنْتَظَرَ هُوَ وَواطْسُن وَقْتًا طَويلًا لِيَسْمَعا أَخْبارَ ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ ، في سافانّاه ، لٰكِنْ لَمْ يَصِلْ إلَيْهِما أَيُّ خَبَرٍ .

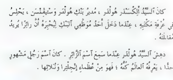
أَخيرًا سَمِعا أَنَّهُ في مَكانٍ ما وَسَطَ ٱلمُحيطِ ٱلواسِعِ ، تَمَّ ٱلعُثورُ عَلى قِطْعَةٍ طافِيَةٍ مِنَ ٱلخَشَبِ ، مَكْتوبٌ عَلَيْها ٱلحَرْفانِ .. ن. و. ، وَهِيَ كُلُّ ما أَمْكَنَ أَنْ يَعْرِفَهُ ٱلنّاسُ عَنْ مَصيرِ تِلْكَ ٱلسَّفينَةِ ، ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ ، وَعَنْ مَصيرِ ٱلرِّجالِ ٱلَّذينَ قَتَلوا ثَلاثَةً مِنْ عائِلَةِ أوبِنْشو .

التّـــاجُ ٱلماسِيُّ

١ -

كانَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هولْدَر ، مُديرُ بَنْكِ هولْدَر وَسْتيفِنْسَن ، يَجْلِسُ في غُرْفَةِ مَكْتَبِهِ ، عِنْدَما دَخَلَ أَحَدُ مُوَظَّفي ٱلبَنْكِ لِيُخْبِرَهُ أَنَّ زائِرًا يُريدُ مُقابَلَتَهُ .

دَهِشَ ٱلسَّيِّدُ هولْدَر عِنْدَما سَمِعَ ٱسْمَ ٱلزّائِرِ . كانَ ٱسْمَ رَجُلٍ مَشْهورٍ جِدًّا ، يَعْرِفُهُ ٱلعالَمُ كُلُّهُ ؛ فَهُوَ مِنْ عُظَماءِ إنْجِلْترا وَنُبَلائِها .





قالَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر : «أَدْخِلْهُ فَوْرًا .»

كانَ يَبْدو على ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي دَخَلَ ٱلغُرْفَةَ أَنَّهُ قَلِقٌ وَفي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ .

قالَ : «يا سَيِّدُ هُولْدَر ، قيلَ لي إِنَّ ٱلبَنْكَ ٱعْتادَ أَنْ يُقْرِضَ نُقودًا .»

قالَ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر : «البَنْكُ عَلى ٱسْتِعْدادٍ لِأَنْ يَفْعَلَ هٰذا دائِمًا مَعَ ٱلنُّبَلاءِ أَصْحابِ ٱلمَقامِ ٱلرَّفيعِ .»

«مِنَ ٱلضَّروريِّ جِدًّا أَنْ أَحْصُلَ ٱلآنَ عَلى خَمْسينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ .»

«مَتى تَرُدُّ إِلَيْنا هٰذا ٱلمَبْلَغَ يا سَيِّدي ؟»

«قَدْ أَتَمَكَّنُ مِنْ إِعادَةِ ٱلنُّقودِ إِلَيْكَ ٱلأُسْبوعَ ٱلقادِمَ ، لٰكِنْ يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى ٱلخَمْسينَ أَلْفًا ٱليَوْمَ .»

قالَ هُولْدَر : «هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَتْرُكَ شَيْئًا ذا قيمَةٍ ، يَحْتَفِظُ بِهِ ٱلبَنْكُ ، حَتّى تَرُدَّ ٱلنُّقودَ ؟»

«نَعَمْ . لَقَدْ تَوَقَّعْتُ أَنْ يُطْلَبَ مِنّي هٰذا . لَعَلَّكَ قَدْ سَمِعْتَ عَنِ ٱلتّاجِ ٱلماسيِّ ؟»

«إِنَّهُ واحِدٌ مِنْ أَثْمَنِ ٱلمُمْتَلَكاتِ العامَّةِ في هٰذا ٱلبَلَدِ . طَبْعًا سَمِعْتَ عَنْهُ !»

فَتَحَ ٱلزّائِرُ ٱلحَقيبَةَ ٱلَّتي كانَ يَحْمِلُها . كانَتْ بِداخِلِها أَجْمَلُ قِطْعَةِ مُجَوْهَراتٍ .

«توجَدُ في هٰذا ٱلتّاجِ تِسْعٌ وَثَلاثونَ ماسَةً ضَخْمَةً . أَمّا ٱلذَّهَبُ ٱلَّذي ثُبِّتَ فيهِ ٱلماسُ ، فَهُوَ أَثْمَنُ مِنْ أَنْ يُقَدَّرَ بِثَمَنٍ . إِنَّ هٰذا ٱلتّاجَ يُساوي ضِعْفَ ٱلمَبْلَغِ ٱلَّذي أَطْلُبُ ٱقْتِراضَهُ ، وَسَأَتْرُكُهُ لَكُمْ .»

تَناوَلَ هُولْدَر ٱلتّاجَ ، ثُمَّ نَظَرَ في شَكٍّ إِلى ٱلزّائِرِ .

قالَ ٱلزّائِرُ : «هَلْ تَظُنُّ أَنَّهُ عَديمُ ٱلقيمَةِ ؟»

«إِطْلاقًا ! أَنا أَشُكُّ فَقَطْ ..»

«لَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّ ٱلتّاجَ لا يَخُصُّني ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَلّا أُقَدِّمَهُ إِلَيْكَ . حَسَنًا ، مِنَ ٱلمُؤَكَّدِ أَنّي ما كُنْتُ أَفْعَلُ هٰذا لَوْ لَمْ أَكُنْ عَلى ثِقَةٍ بِأَنّي أَسْتَطيعُ ٱسْتِرْدادَهُ مِنْكَ خِلالَ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ ، عِنْدَما أَرُدُّ إِلَيْكَ ٱلنُّقودَ . كُلُّ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ أَنْ يَظَلَّ ٱلأَمْرُ سِرًّا بَيْنَنا ، وَأَنْ تُحافِظَ جَيِّدًا عَلى هٰذا ٱلتّاجِ . سَتَحْدُثُ مَتاعِبُ كَبيرَةٌ إِذا أَصابَ ٱلتّاجَ أَيُّ تَلَفٍ .»

ٱسْتَدْعى ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر صَرّافَ ٱلبَنْكِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَصْرِفَ خَمْسينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ نَقْدًا لِلزّائِرِ .

عِنْدَما ٱنْصَرَفَ ٱلزّائِرُ ، نَظَرَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر إِلى ٱلتّاجِ ، وَتَمَنّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُوافِقْ عَلى ٱلاحْتِفاظِ بِهِ ، لٰكِنْ مَضى ٱلوَقْتُ ٱلَّذي يَسْتَطيعُ فيهِ أَنْ يُغَيِّرَ رَأْيَهُ ؛ لِذٰلِكَ وَضَعَهُ في حَقيبَةٍ ، وَأَخْفاهُ في مَكانٍ أَمينٍ ، حَتّى يَنْتَهِيَ مِنْ عَمَلِهِ ٱليَوْمِيِّ .

- ٢ -

في نهاية اليوم، وجد ألكسندر أنه من الحكمة ألا يترك التاج في البنك، وأن يحتفظ بالحقيبة معه، حتى تكون في متناول يده في أي مكان يكون فيه، إلى أن يعود صاحبه بالمبلغ. لذلك عاد إلى منزله في ستريتام حاملا التاج الماسي معه في الحقيبة.

عندما وصل إلى منزله، أخذ الحقيبة معه إلى غرفته الخاصة في الطابق العلوي، وحفظها في مكان أمين.

كان يعيش مع السيد هولدر في ستريتام ابنه آرثر، وفتاة في مقتبل العمر اسمها ماري، هي ابنة أخيه المتوفى. وكان هناك خادمان يبيتان في منزليهما، وثلاث خادمات يعملن بالمنزل منذ سنوات عديدة. إلى جانب خادمة جديدة اسمها لوسي پار، التحقت بالعمل منذ عدة أشهر. وقد أحضرت معها عند مجيئها خطابات توصية تبين أنها ذات شخصية ممتازة، وأنها تؤدي عملها جيدا. كانت فتاة رائعة الجمال، وقد حضر أكثر من رجل لمقابلتها، لكن كان يبدو أنها فتاة ممتازة من كافة النواحي.

كان الابن آرثر الوحيد من أهل المنزل الذي يسبب المتاعب للسيد هولدر.

كان هولدر يحدث نفسه: «يقول لي الناس إنني أفسدته بتدليلي؛ ولعلني فعلت هذا، فعندما ماتت أمه، استأثر وحده بكل حبي».

لقد رفض آرثر أن يعمل في بنك أبيه. لم يكن يتحمل المسئولية، ويعيش مع أصدقائه الأثرياء حياة اللهو والمتعة، لا يشغله سوى مشاهدة سباق الخيل. كان أصدقاؤه أغنياء، لذا اضطر إلى أن ينفق معهم من النقود أكثر مما يعطيه والده، كان يستدين دائما. وكان صديقه المفضل، سير جورج بيرنويل، كثير التردد عليه في المنزل في ستريتام. كان هذا الصديق يبدو شخصا لطيفا، وسيما، حسن الخلق، لكن ألكسندر هولدر لم يكن يرتاح إليه.

كانت ماري، ابنة أخيه، هي الإنسانة الوحيدة التي يرتاح إليها في المنزل. كانت جميلة، رقيقة هادئة، تفيض عطفا وحنانا. يقول عنها دائما: «لست أدري ماذا كنت أفعل بدونها». وكان ابنه آرثر يحبها، ويتمنى الزواج بها؛ لكنها رفضته، وكم كان والده يرغب أيضا في زواجها بابنه فربما تتغير شخصية ابنه بعد أن يتزوجها.

- ٣ -

في ذلك المساء، جلست الأسرة الصغيرة في غرفة الاستقبال تتناول القهوة التي أعدتها وقدمتها لوسي پار. وعندما غادرت الخادمة الغرفة، قال هولدر: «يا له من يوم! لقد عانيت فيه من قلق شديد، وأحضرت معي إلى المنزل واحدا من أثمن التيجان في العالم. يجب أن أحرسه بعناية حتى الأسبوع القادم. إنه أثمن من أن أتركه في البنك».

سَأَلَهُ آرْثَر : «أَيْنَ وَضَعْتَهُ ؟»

«لَقَدْ أَغْلَقْتُ عَلَيْهِ في غُرْفَتي الخاصَّةِ بِالطّابَقِ العُلْوِيِّ .»

قالَ آرْثَر : «حَسَنًا ! أَرْجُو أَلّا يَسْطُوَ عَلَيْنا اللُّصوصُ اللَّيْلَةَ .»

قالَتْ ماري : «هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَراهُ ؟»

أَجابَ هُولْدَر : «لا ! مِنَ الأَفْضَلِ عَدَمُ رُؤْيَتِهِ . أُريدُ أَنْ أَتْرُكَهُ حَيْثُ هُوَ .»

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، تَبِعَ آرْثَر أَباهُ حِينَ تَوَجَّهَ إلى غُرْفَتِهِ ، وَقالَ لَهُ : «أَبي ! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُعْطِيَني مِئَتَيْ جُنَيْهٍ ؟»

أَجابَهُ والِدُهُ غاضِبًا : «لا ، لا أَسْتَطيعُ ! لَقَدْ تَساهَلْتُ مَعَكَ إلى أَبْعَدِ الحُدودِ في المَسائِلِ المالِيَّةِ .»

قالَ آرْثَر : «لَقَدْ كُنْتَ مُتَساهِلًا مَعي حَقًّا يا أَبي ، لٰكِنْ يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى هٰذا المَبْلَغِ ، وَإِلّا فَلَنْ أَسْتَطيعَ لِقاءَ أَصْدِقائي بَعْدَ الآنَ .»

«أَظُنُّ أَنَّ هٰذِهِ مَسْأَلَةٌ غَيْرُ مُهِمَّةٍ .»

قالَ آرْثَر : «لٰكِنَّكَ لا تُريدُ أَنْ أَجْلُبَ العارَ لاسْمِكَ . يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى النُّقودِ ، وَإِذا رَفَضْتَ أَنْ تُعْطِيَني إِيّاها ، سَأُحاوِلُ الحُصولَ عَلَيْها مِنْ مَكانٍ آخَرَ .»

صاحَ هُولْدَر : «هٰذِهِ هِيَ المَرَّةُ الثّالِثَةُ الَّتي تَطْلُبُ فيها نُقودًا في الفَتْرَةِ الأَخيرَةِ ، وَلَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا .»

غادَرَ آرْثَر الغُرْفَةَ دونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ قامَ هُولْدَر لِيَمُرَّ بِأَرْجاءِ المَنْزِلِ ، وَيَتَأَكَّدَ مِنْ إِغْلاقِ كُلِّ الأَبْوابِ وَالنَّوافِذِ .

عِنْدَما كانَ يَهْبِطُ السُّلَّمَ ، رَأى ماري عِنْدَ نافِذَةٍ جانِبِيَّةٍ في البَهْوِ . وَلَمّا رَأَتْهُ أَغْلَقَتْها بِسُرْعَةٍ . وَلاحَظَ هُولْدَر أَنَّها تَبْدو قَلِقَةً بَعْضَ الشَّيْءِ .

قالَتْ : «أَخْبِرْني يا عَمّي ، هَلْ سَمَحْتَ لِلْخادِمَةِ لُوسي پار بِالخُروجِ اللَّيْلَةَ ؟»

«كَلّا ، لَمْ أَسْمَحْ لَها .»

«لَقَدْ عادَتِ الآنَ .»

«حَسَنًا ، سَأَتَحَدَّثُ إِلَيْها في الصَّباحِ . أَواثِقَةٌ أَنْتِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُغْلَقٌ ؟»

«واثِقَةٌ تَمامًا يا عَمّي .»

«إِذًا ! تُصْبِحينَ عَلى خَيْرٍ .» وَقَبَّلَها ، وَذَهَبَ إِلى غُرْفَةِ نَوْمِهِ ، وَسُرْعانَ ما اسْتَغْرَقَ في النَّوْمِ .

اِسْتَيْقَظَ هُولْدَر فَجْأَةً في حَوالَى ٱلسَّاعةِ ٱلثَّانِيَةِ صَباحًا ، عَلى صَوتِ حَرَكَةٍ في ٱلمَنْزِلِ ، فَأَنْصَتَ فَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا . وَظَلَّ مُنْصِتًا ، فَسَمِعَ صَوْتًا خافِتًا ، وَوَقْعَ خُطُواتٍ في غُرْفَتِهِ ٱلخاصَّةِ فَنَهَضَ بِهُدوءٍ ، وَذَهَبَ إلى هُناكَ .

صاحَ هُولْدَر : «آرْثَر ! أَيُّها ٱللِّصُّ ! كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلى أَخْذِ ٱلتّاجِ ؟»

كانَ آرْثَر يَقِفُ بِجوارِ مِصْباحٍ وَهو لا يَرْتَدي غَيْرَ قَميصٍ وَسِرْوالٍ ، وَقَدْ أَمْسَكَ ٱلتّاجَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ كَأَنَّهُ يُحاوِلُ ثَنْيَهُ . عِنْدَما سَمِعَ كَلِماتِ والِدِهِ ، سَقَطَ



ٱلتّاجُ مِنْ يَدِهِ عَلى ٱلأَرْضِ . وَشَحَبَ لَوْنُهُ ؛ فَأَسْرَعَ والِدُهُ وَٱلْتَقَطَ ٱلتّاجَ وَفَحَصَهُ ، فَوَجَدَ أَنَّ أَحَدَ أَطْرافِهِ ٱلذَّهَبِيَّةِ قَدِ ٱخْتَفى مَعَ ٱلماساتِ ٱلثَّلاثِ ٱلمُثَبَّتَةِ فيه .

صاحَ هُولْدَر في ثَوْرَةٍ عارِمَةٍ : «أَيُّها ٱلوَلَدُ ٱلشِّرّيرُ ، لَقَدْ حَطَّمْتَني ! لَقَدْ أَلْحَقْتَ بِيَ ٱلعارَ إلى ٱلأَبَدِ . أَيْنَ ٱلماساتُ ٱلَّتي سَرَقْتَها ؟»

صاحَ آرْثَر في دَهْشَةٍ : «سَرَقْتُها ؟!»

قالَ هُولْدَر بِصَوْتٍ مُفْعَمٍ بِٱلحُزْنِ : «نَعَمْ ، أَيُّها ٱللِّصُّ ! انني يَصْبِحُ لِصًّا ! يا لَلْعارِ !»

هَمَسَ آرْثَر : «لٰكِنْ لَيْسَ هُناكَ شَيْءٌ ناقِصٌ ! لا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ ناقِصٌ !»

«إِنَّ ٱلتّاجَ يَنْقُصُ ثَلاثَ ماساتٍ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَيْنَ تُوجَدُ . هَلْ يَجِبُ أَنْ أُسَمِّيَكَ كاذِبًا كَما سَمَّيْتُكَ لِصًّا ؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ بِنَفْسي تُحاوِلُ ٱنْتِزاعَ ماسَةٍ أُخْرى .»

قالَ آرْثَر : «لَقَدْ وَصَفْتَني يا أَبي بِصِفاتٍ سَيِّئَةٍ ، وَمَعَ هٰذا لَنْ أَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ . سَأُغادِرُ ٱلمَنْزِلَ في ٱلصَّباحِ وَلَنْ تَراني مَرَّةً أُخْرى ؟»

صاحَ هُولْدَر في جُنونٍ : «سَتُغادِرُهُ في قَبْضَةِ ٱلشُّرْطَةِ .»

«لَنْ أُجيبَ بِشَيْءٍ . وَإِذا ٱسْتَدْعَيْتَ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ ، فَدَعْهُمْ يَبْحَثونَ ٱلأَمْرَ بِأَنْفُسِهِمْ .»

أثناءَ هٰذا ٱلحديثِ ، كانَ كُلُّ مَنْ بِٱلمَنْزِلِ قَدِ ٱسْتَيْقَظَ بِسَبَبِ ٱلضَّوْضاءِ وَٱلأَصْواتِ ٱلغاضِبةِ .

كانَتْ ماري أَوَّلَ مَنِ ٱنْدَفَعَ إِلى ٱلغُرْفةِ ، وَعِنْدَما رَأَتِ ٱلتّاجَ وَوَجْهَ آرْثَر ، فَقَدَتِ ٱلوَعْيَ ، وَسَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ .

أَرْسَلوا في طَلَبِ رِجالِ ٱلشُّرْطةِ فَوْرًا . وَعِنْدَما وَصَلوا قالَ آرْثَر لِوالِدِهِ : « هَلْ تُريدُ أَنْ تَطْلُبَ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطةِ أَنْ يَأْخُذوني مَعَهُمْ ؟ »

« هٰذِهِ مَسْأَلةٌ عامَّةٌ ؛ فَٱلتّاجُ مِلْكُ ٱلدَّوْلةِ . لا يُمْكِنُ أَنْ نَحْتَفِظَ بِٱلأَمْرِ وَكَأَنَّهُ مَسْأَلةٌ عائِلِيَّةٌ . يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ ٱلقانونُ مَجْراهُ . »

قالَ آرْثَر : « إِسْمَحْ لي عَلى ٱلأَقَلِّ أَنْ أُغادِرَ ٱلمَنْزِلَ لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ ، هٰذا سَيُساعِدُنا كُلَّنا . أَرْجوكَ أَنْ تُصَدِّقَني . »

قالَ هُولْدَر : « آهٍ ، حَتّى تَسْتَطيعَ أَنْ تَهْرُبَ أَوْ تُخْفِيَ ما سَرَقْتَهُ . أَخْبِرْني أَيْنَ ٱلماساتُ ، فَلا يَزالُ في ٱسْتِطاعَتي أَنْ أُنْقِذَكَ مِنَ ٱلعارِ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ وَٱلتّاجُ بَيْنَ يَدَيْكَ . أَنْتَ مُذْنِبٌ ! أَخْبِرْني أَيْنَ ٱلماساتُ حَتّى أَعْفُوَ عَنْكَ ؟ »

« إِحْتَفِظْ بِعَفْوِكَ لِمَنْ يَطْلُبُهُ . »

وَوَجَدَ هُولْدَر أَنَّهُ مِنَ ٱلعَسيرِ عَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ ٱبْنَهُ هُوَ ٱلَّذي يُخاطِبُهُ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمامَهُ إِلّا أَنْ يَتْرُكَ رِجالَ ٱلشُّرْطةِ يَقْبِضونَ عَلى آرْثَر .

فَتَّشَ رِجالُ ٱلشُّرْطةِ في ٱلحالِ كُلَّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ ٱلمَنْزِلِ ، كَما فَتَّشوا كُلَّ فَرْدٍ فيهِ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى شَيْءٍ .

قالَ ٱلضّابِطُ ٱلمَسْئولُ لِهُولْدَر : « نَصيحَتي إِلَيْكَ يا سَيِّدي أَنْ تَلْجَأَ إِلى شِرْلوك هُولْمْز ، ٱلَّذي يَسْكُنُ في شارِعِ بيكَر . إِنَّهُ مُخْبِرٌ سِرِّيٌّ عَظيمٌ ، وَهٰذِهِ ٱلقَضِيَّةُ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي طالَما ساعَدَ رِجالَ ٱلشُّرْطةِ في كَشْفِ أَسْرارِهِ . »

قالَ هُولْدَر ٱلمِسْكينُ : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ أَنَّكَ عَلى صَوابٍ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْهُ . إِنَّهُ مَشْهورٌ . سَأَتَّصِلُ بِهِ في ٱلصَّباحِ ٱلباكِرِ . »

– ٥ –

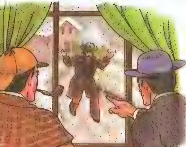
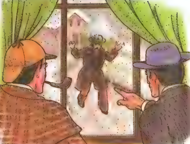
قُلْتُ وَأَنا أَقِفُ أَرْقُبُ ٱلطَّريقَ : « هُولْمْز ! ها هُوَ ذا رَجُلٌ مَجْنونٌ يَتَقَدَّمُ في ٱلطَّريقِ . كَيْفَ سَمَحوا لَهُ بِٱلخُروجِ وَحْدَهُ ؟ »

نَهَضَ صَديقي مُتَكاسِلًا مِنْ مَقْعَدِهِ ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ مِنْ فَوْقِ كَتِفي . كانَ صَباحًا بارِدًا مُشْرِقًا ، وَٱلثَّلْجُ ٱلَّذي تَساقَطَ في ٱليَوْمِ ٱلسّابِقِ يَرْتَفِعُ كَثيفًا فَوْقَ ٱلأَرْضِ . وَكانَ هُناكَ رَجُلٌ يَقْتَرِبُ وَحْدَهُ في ٱلطَّريقِ . كانَ رَجُلًا في حَوالَى ٱلخَمْسينَ مِنْ عُمْرِهِ ، يَرْتَدي مَلابِسَ أَنيقةً غالِيةً . لٰكِنَّ تَصَرُّفاتِهِ لَمْ تَكُنْ تُلائِمُ مَظْهَرَهُ . فَقَدْ كانَ يَجْري بِسُرْعةٍ ، وَيُحَرِّكُ ذِراعَيْهِ إِلى أَعْلى وَإِلى أَسْفَلَ ، وَيَهُزُّ رَأْسَهُ ، وَقَدِ ٱرْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِهِ تَعْبيراتٌ مَجْنونةٌ .

تَساءَلْتُ : « ما شَأْنُ هٰذا ٱلرَّجُلِ ؟ »

قالَ هُولْمْز وَهُوَ يَفْرُكُ يَدَيْهِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ قادِمٌ إِلى هُنا يا عَزيزي واطْسُن . »

« هُنا ؟ »

لَمْ تَمْضِ لَحَظاتٌ ، حَتَّى ٱندَفَعَ ٱلرَّجُلُ إلى بابِ مَنْزِلِنا ، وَدَقَّ ٱلجَرَسَ ، فَأَحْدَثَ ضَجَّةً عالِيَةً .

بَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ ، كانَ داخِلَ ٱلبَيْتِ .

كانَتْ في عَيْنَيْهِ نَظْرَةُ أَسَفٍ وَأَسًى شَديدَيْنِ ، حَتَّى إنَّنا أَشْفَقْنا عَلَيْهِ . وَوَقَفَ ٱلرَّجُلُ لَحَظاتٍ لا يَسْتَطيعُ ٱلكَلامَ .

أَشارَ إِلَيْهِ شِيرْلُوك هُولْمز لِيَجْلِسَ عَلى ٱلمَقْعَدِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ في رِقَّةٍ قائِلًا : «لَقَدْ جِئْتَ لِتُخْبِرَني بِمَوْضوعٍ يَشْغَلُكَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ لَقَدْ جِئْتَ

مُسْرِعًا فَأَرْهَقْتَ نَفْسَكَ . يَجِبُ أَنْ تَسْتَريحَ إِلى أَنْ تَهْدَأَ ، وَيُسْعِدُني جِدًّا أَنْ أُساعِدَكَ .»

جَلَسَ ٱلرَّجُلُ . وَبَعْدَ قَليلٍ أَخْرَجَ مِنْديلَهُ وَجَفَّفَ عَرَقَهُ ، ثُمَّ ٱلتَفَتَ إِلَيْنا قائِلًا : «لا شَكَّ أَنَّكُما تَظُنّانِ أَنّي مَجْنونٌ .»

أَجابَهُ هُولْمز : «أَرى أَنَّكَ تُعاني مَتاعِبَ كَبيرَةً .»

«يَعْلَمُ ٱللهُ مَدى ما أُعاني ! مَتاعِبي تَكْفي لِتَجْعَلَني مَجْنونًا . لَقَدْ حَلَّتْ بي مَتاعِبُ مُفاجِئَةٌ وَمُؤْلِمَةٌ . إِنَّني مُسْتَعِدٌّ لِتَحَمُّلِ ٱلفَضيحَةِ وَٱلعارِ ، لٰكِنْ لَيْسَ هٰذا هُوَ كُلَّ ما في ٱلأَمْرِ .. ٱلمَوْضوعُ أَكْبَرُ مِنْ هٰذا وَأَخْطَرُ .. إِنَّ ٱلأَمْرَ لا يَتَعَلَّقُ بي وَحْدي ، وَإِنَّما يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِيَّةٍ نَبيلَةٍ في هٰذا ٱلبَلَدِ . إِنَّها سَتُعاني مَعي مِنْ هٰذا ٱلمَوْضوعِ ٱلخَطيرِ إِذا لَمْ أَجِدْ لَهُ حَلًّا .»

قالَ هُولْمز : «هَدِّئْ مِنْ نَفْسِكَ يا سَيِّدي ، وَٱشْرَحْ لي ٱلمَوْضوعَ بِوُضوحٍ .»

عِنْدَئِذٍ أَخْبَرَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر شِيرْلُوك هُولْمز بِقِصَّتِهِ ٱلمُحْزِنَةِ مَعَ ٱلتّاجِ .

بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ قِصَّتِهِ ، قالَ : «لَقَدْ أَخَذوا ٱبْني إِلى قِسْمِ ٱلشُّرْطَةِ هٰذا ٱلصَّباحَ ، وَأَسْرَعْتُ أَنا إِلَيْكَ أَطْلُبُ مُساعَدَتَكَ لِإِزالَةِ هٰذا ٱلغُموضِ . لَسْتُ أَدْري ماذا أَفْعَلُ ! لَقَدْ فَقَدْتُ سُمْعَتي وَجَواهِري وَٱبْني في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ . لَسْتُ أَدْري ماذا أَفْعَلُ !»

– ٦ –

جَلَسَ شيرْلوك هُولمْز ساكِتًا بِضْعَ دَقائِقَ ، ثُمَّ سَأَلَ ٱلرَّجُلَ :

«هَلْ يَأْتي إِلى مَنْزِلِكَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلأَصْدِقاءِ ؟»

«بَلْ عَدَدٌ قَليلٌ جِدًّا . هُناكَ صَديقٌ لِٱبْني آرْثَر ... ٱسْمُهُ سير جُورج برنْوِيل ، وَقَدْ زارَنا عِدَّةَ مَرّاتٍ ، وَلا أَحَدَ سِواهُ عَلى ما أَظُنُّ .»

«حَسَنًا ! هَلْ تَخْرُجونَ مِنَ ٱلمَنْزِلِ كَثيرًا ؟»

«آرْثَر يَخْرُجُ ، أَمّا أَنا وَماري فَنُلازِمُ ٱلمَنْزِلَ .»

«لَيْسَ هٰذا طَبيعِيًّا بِالنِّسْبَةِ لِفَتاةٍ شابَّةٍ .»

«إِنَّها فَتاةٌ هادِئَةٌ ، في ٱلرّابِعَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنْ عُمْرِها .»

«هَلْ آلَمَها أَيْضًا هٰذا ٱلأَمْرُ ؟»

«بِشِدَّةٍ ... أَظُنُّ أَنَّ حالَتَها أَسْوَأُ مِنْ حالَتي .»

«إِذًا ! فَكُلٌّ مِنْكُما يَعْتَقِدُ أَنَّ ٱبْنَكَ هُوَ ٱلسّارِقُ ؟»

«لَقَدْ رَأَيْتُهُ بِنَفْسي وَٱلتّاجُ بَيْنَ يَدَيْهِ .»

«لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا دَليلٌ عَلى أَنَّهُ هُوَ ٱلسّارِقُ . لَقَدْ ذَكَرْتَ أَنَّ ٱلتّاجَ كانَ مُلْتَوِيًا .»

«نَعَمْ .»

«رُبَّما كانَ يُحاوِلُ إِصْلاحَهُ ؟»

«بارَكَ ٱللّٰهُ فيكَ ! أَنْتَ تُحاوِلُ أَنْ تُساعِدَهُ وَتُساعِدَني ، لٰكِنْ ماذا كانَ يَفْعَلُ هُناكَ ؟ وَإِذا لَمْ يَكُنْ مُذْنِبًا ، فَلِماذا لَمْ يَقُلْ ذٰلِكَ ؟»

«هٰذا صَحيحٌ . وَإِذا كانَ مُذْنِبًا ، فَلِماذا لَمْ يَخْتَلِقْ أُكْذوبَةً لِيَنْفِيَ ٱلتُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ لِماذا ٱلْتَزَمَ ٱلصَّمْتَ ؟ هُناكَ كَثيرٌ مِنَ ٱلنِّقاطِ ٱلمُحَيِّرَةِ في هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةِ . لٰكِنْ ما رَأْيُ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ في ٱلضَّوْضاءِ ٱلَّتي أَيْقَظَتْكَ ؟»

«يَظُنّونَ أَنَّها ٱلصَّوْتُ ٱلَّذي صَدَرَ حينَ كانَ آرْثَر يُغْلِقُ حُجْرَةَ نَوْمِهِ .»

«هٰذا ٱحْتِمالٌ بَعيدٌ . لِأَنَّهُ لَوْ كانَ آرْثَر يَنْوي ٱلسَّرِقَةَ ، لَحَرَصَ عَلى أَلّا يُحْدِثَ أَيَّ صَوْتٍ . ماذا فَعَلَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ لِلْبَحْثِ عَنِ ٱلماساتِ ٱلمَفْقودَةِ ؟»

«بَحَثوا في كُلِّ مَكانٍ .. تَحْتَ أَرْضِيَّةِ ٱلغُرَفِ .. في ٱلأَثاثِ ، في كُلِّ مَكانٍ بِٱلمَنْزِلِ .»

«هَلْ فَكَّروا في ٱلبَحْثِ عَنْها خارِجَ ٱلمَنْزِلِ ؟»

«نَعَمْ ، في كُلِّ مَكانٍ . لَقَدْ فَتَّشوا ٱلحَديقَةَ كُلَّها .»

قالَ هُولمْز : «وَٱلآنَ ، يا سَيِّدي ٱلعَزيزَ ، أَلا تَرى أَنَّ هٰذا ٱلمَوْضوعَ لَيْسَ بِالبَساطَةِ ٱلَّتي تَتَصَوَّرُها أَنْتَ وَرِجالُ ٱلشُّرْطَةِ ؟ أَنْتَ تَفْتَرِضُ أَنَّ ٱبْنَكَ قَدْ غادَرَ فِراشَهُ ، وَذَهَبَ إِلى غُرْفَتِكَ ٱلخاصَّةِ ، وَعَثَرَ عَلى ٱلتّاجِ ، وَكَسَرَ قِطْعَةً مِنْهُ ،

وَأَخَذَ ٱلماساتِ ٱلثَّلاثَ وَذَهَبَ وَأَخْفاها بِذَكاءٍ شَديدٍ في مَكانٍ لَمْ يَتَمَكَّنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلعُثورِ عَلَيْهِ، ثُمَّ عادَ إِلى ٱلغُرْفَةِ مَرَّةً أُخْرى مُعَرِّضًا نَفْسَهُ لِخَطَرٍ عَظيمٍ، هُوَ ٱكْتِشافُ أَمْرِهِ. إِنَّني أَسْأَلُكَ: هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلفِكْرَةَ مَعْقولَةٌ عَلى أَيِّ وَجْهٍ؟»

صاحَ ٱلسَّيِّدُ هولْدَر: «ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ ٱلأَمْرُ إِذًا؟ إِذا لَمْ يَكُنِ ٱبْني مُذْنِبًا، فَلِمَ لَمْ يَشْرَحِ ٱلأَمْرَ؟»

أَجابَ هولْمز: «عَلَيْنا نَحْنُ أَنْ نَجِدَ إِجابَةً عَنْ هٰذا ٱلسُّؤالِ. وَٱلآنَ، إِذا سَمَحْتَ يا سَيِّدُ هولْدَر أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ إِلى مَنْزِلِكَ في سْتْريتام، وَأَرى كُلَّ شَيْءٍ بِنَفْسي.»

طَلَبَ هولْمز مِنّي أَنْ أُرافِقَهُ، فَرَحَّبْتُ بِذٰلِكَ، لِأَنَّني كُنْتُ أَرْغَبُ بِشِدَّةٍ في أَنْ أَعْرِفَ ماذا سَيَفْعَلُ، خُصوصًا أَنَّني كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ آرْثَر هُوَ ٱلجاني. لٰكِنَّني كُنْتُ عَلى ثِقَةٍ كَبيرَةٍ في تَقْديرِ هولْمز لِلأُمورِ، وَأَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ هُناكَ تَفْسيرٌ آخَرُ لِاخْتِفاءِ ٱلماساتِ.

كانَ ٱلسَّيِّدُ هولْدَر سَعيدًا بِالأَمَلِ ٱلضَّعيفِ ٱلَّذي أَعْطاهُ إِيّاهُ شِرْلوك هولْمز.

- ٧ -

كانَ ٱلمَنْزِلُ ٱلقائِمُ في شارِعِ سْتْريتام مَنْزِلًا فَسيحًا، أُقيمَ بَعيدًا عَنِ ٱلطَّريقِ

إِلى حَدٍّ ما. وَكانَ هُناكَ مَمَرٌّ واسِعٌ يَمْتَدُّ مِنَ ٱلبَوّابَةِ إِلى ٱلمَنْزِلِ، وَكانَ يَتَفَرَّعُ مِنَ ٱلجانِبِ ٱلأَيْمَنِ مَمَرٌّ ضَيِّقٌ يَمْتَدُّ بَيْنَ صَفَّيْنِ مِنَ ٱلأَشْجارِ ٱلصَّغيرَةِ، يُؤَدّي إِلى بابِ ٱلمَطْبَخِ. وَكانَ ٱلثَّلْجُ يُغَطّي ٱلحَديقَةَ.

دارَ هولْمز بِبُطْءٍ حَوْلَ ٱلمَنْزِلِ مِنْ كُلِّ جَوانِبِهِ، وَتَأَمَّلَ ٱلواجِهَةَ، ثُمَّ سارَ في ٱلمَمَرِّ ٱلضَّيِّقِ ٱلمُؤَدّي إِلى ٱلمَطْبَخِ، ثُمَّ ٱخْتَرَقَ ٱلحَديقَةَ إِلى مَمَرٍّ صَغيرٍ خَلْفَ ٱلمَنْزِلِ.

أَخَذَني ٱلسَّيِّدُ هولْدَر إِلى ٱلدّاخِلِ، حَيْثُ جَلَسْنا نَنْتَظِرُ هولْمز؛ وَإِذا ٱلبابُ يُفْتَحُ، وَتَدْخُلُ عَلَيْنا سَيِّدَةٌ شابَّةٌ. لَمْ يَسْبِقْ لي أَنْ رَأَيْتُ وَجْهًا شاحِبًا مِثْلَ وَجْهِها. لَمْ يَكُنْ لِشَفَتَيْها لَوْنٌ، وَكانَتْ عَيْناها حَمْراوَيْنِ مِنَ ٱلبُكاءِ. وَلَمْ تَنْتَبِهْ إِلى وُجودي، بَلِ ٱتَّجَهَتْ مُباشَرَةً إِلى عَمِّها قائِلَةً: «أَلَمْ تُصْدِرْ أَمْرَكَ بَعْدُ بِأَنْ يُطْلِقوا سَراحَ آرْثَر؟»

«لا، لا يا ماري؛ لا بُدَّ أَنْ يَقْتَنِعَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُذْنِبٍ.»

«لٰكِنَّني واثِقَةٌ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ أَيَّ خَطَأٍ؛ وَأَنا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتَأْسَفُ لِأَنَّكَ تَصَرَّفْتَ بِدونِ تَفْكيرٍ.»

«لِماذا إِذًا ٱلْتَزَمَ ٱلصَّمْتَ إِذا لَمْ يَكُنْ قَدْ سَرَقَ ٱلماساتِ؟»

«مَنْ يَدْري؟ لَعَلَّهُ غَضِبَ بِشِدَّةٍ لِأَنَّكَ لَمْ تَعُدْ تَثِقُ بِهِ، فَٱمْتَنَعَ عَنِ ٱلكَلامِ.»

«لٰكِنَّني رَأَيْتُهُ وَٱلتّاجُ بَيْنَ يَدَيْهِ!»

«مِنَ ٱلْمُخيفِ حَقًّا أَنْ أُفكِّرَ في وُجودِ عَزيزِنا آرْثَر في ٱلسِّجْنِ .»

«لَنْ أَسْتَسْلِمَ يا ماري إلى أَنْ نَعْثُرَ عَلى ٱلماساتِ . لَقَدْ أَحْضَرْتُ أَحَدَ ٱلسَّادَةِ مِنْ لَنْدَن ، لِيَبْحَثَ هٰـذا ٱلمَوْضوعَ بِعِنايَةٍ أَكْثَرَ .»

قالَتْ وَهِيَ تَنْظُرُ نَحْوي : «أَهُوَ هٰـذا ٱلسَّيِّدُ ؟»

«لا ، صَديقُهُ . لَقَدْ طَلَبَ مِنّا أَنْ نَتْرُكَهُ وَحْدَهُ . إِنَّهُ ٱلآنَ في ٱلمَمَرِّ ٱلمُؤَدّي إلى حَظيرَةِ ٱلخَيْلِ .»

«مَمَرُّ حَظيرَةِ ٱلخَيْلِ !! ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَجِدَ هُناكَ ؟»

— ٨ —

دَخَلَ هُولمز ٱلغُرْفَةَ ، ثُمَّ قالَ : «أَعْتَقِدُ أَنَّكِ ٱلآنِسَةُ ماري هُولْدَر . أَتَسْمَحِينَ لي أَنْ أُوَجِّهَ إِلَيْكِ سُؤالًا أَوْ سُؤالَيْنِ ؟»

«تَفَضَّلْ يا سَيِّدي ! سَلْ ما تَشاءُ لَعَلَّ هٰـذا يُساعِدُ عَلى تَوْضيحِ ما حَدَثَ .»

«أَلَمْ تَسْمَعي شَيْئًا في ٱللَّيْلَةِ ٱلماضِيَةِ ؟»

«لَمْ أَسْمَعْ أَيَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَ صِياحَ عَمّي .»

«هَلْ كُنْتِ قَدْ أَغْلَقْتِ كُلَّ ٱلنَّوافِذِ ؟»

«نَعَـــمْ .»

«هَلْ كانَتْ مُغْلَقَةً هٰـذا ٱلصَّباحَ ؟»

«نَعَـــمْ .»

«عِنْدَكِ خادِمَةٌ لَها صَديقٌ ؛ أَظُنُّ أَنَّكِ أَخْبَرْتِ عَمَّكِ أَنَّها غادَرَتِ ٱلمَنْزِلَ لَيْلَةَ أَمْسِ ؟»

«نَعَمْ . وَهِيَ ٱلفَتاةُ ٱلَّتي أَحْضَرَتْ لَنا ٱلقَهْوَةَ لَيْلَةَ أَمْسِ . لَعَلَّها سَمِعَتْ عَمّي يَتَحَدَّثُ عَنِ ٱلتّاجِ .»

«فَهِمْتُ . أَنْتِ تَظُنِّينَ أَنَّها خَرَجَتْ لِمُقابَلَةِ صَديقِها ، حَيْثُ دَبَّرَ الاثْنانِ سَرِقَةَ ٱلتّاجِ . هَلْ رَأَيْتِها تَعودُ مِنْ بابِ ٱلمَطْبَخِ ؟»

«نَعَمْ ، لَقَدْ دَخَلَتْ عِنْدَما ذَهَبْتُ لِأُغْلِقَ ٱلبابَ بِالمِفْتاحِ . كَذٰلِكَ رَأَيْتُ صَديقَها يَقِفُ قَريبًا جِدًّا مِنَ ٱلبَيْتِ .»

«هَلْ تَعْرِفينَهُ ؟»

«نَعَمْ أَعْرِفُهُ . إِنَّهُ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي يَشْتَري لَنا ما نَحْتاجُهُ مِنْ لَحْمٍ . اِسْمُهُ فْرانْسيس بْروسْبِر .»

قالَ هُولمز : «هَلْ كانَ يَقِفُ إلى يَسارِ ٱلبابِ ؟»

«هٰـذا صَحيحٌ .»

«وَلِهٰـذا ٱلرَّجُلِ ساقٌ خَشَبِيَّةٌ ؟»

هُنا ظَهَرَ ٱلخَوْفُ في عَيْنَيْ ماري ، وَقالَتْ : «كَأَنَّكَ ساحِرٌ ! كَيْفَ عَرَفْتَ

كُلَّ هٰذا ؟» وَٱبْتَسَمْتُ ، لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ أَيُّ ٱبْتِسامٍ عَلى وَجْهِ هُولْمز ٱلنَّحيلِ ٱلذَّكِيِّ .

«أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ أُلْقِيَ نَظْرَةً عَلى نَوافِذِ ٱلدَّوْرِ ٱلْأَرْضِيِّ ، وَأَنْ أَصْعَدَ إِلى ٱلطّابَقِ ٱلْعُلْوِيِّ لِتَفْتيشِهِ .»

أَخَذَ هُولْمز يَتَنَقَّلُ بِسُرْعَةٍ مِنْ نافِذَةٍ إِلى نافِذَةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عِنْدَ ٱلنّافِذَةِ ٱلْواسِعَةِ ٱلَّتي تُطِلُّ مِنَ ٱلْبَهْوِ عَلى مَمَرِّ حَظيرَةِ ٱلْخَيْلِ ، وَفَتَحَها ، وَفَحَصَ كُلَّ جُزْءٍ مِنْها فَحْصًا دَقيقًا جِدًّا .

قالَ أَخيرًا : «هَيّا نَصْعَدِ ٱلْآنَ إِلى ٱلطّابَقِ ٱلْعُلْوِيِّ .»

في غُرْفَةِ مُديرِ ٱلْبَنْكِ ٱلْخاصَّةِ ، ٱتَّجَهَ هُولْمز في ٱلْبِدايَةِ إِلى ٱلْحَقيبَةِ ٱلَّتي كانَ بِها ٱلتّاجُ ، وَفَحَصَ ٱلْقُفْلَ فَحْصًا دَقيقًا .

ثُمَّ فَتَحَ ٱلْحَقيبَةَ ، وَأَخْرَجَ ٱلتّاجَ . كانَ طَرَفُهُ مُلْتَوِيًا وَمَكْسورًا عِنْدَ ٱلْمَكانِ ٱلَّذي تَمَّ ٱنْتِزاعُ جُزْءٍ مِنْهُ .

قالَ هُولْمز : «ٱلْآنَ يا سَيِّدُ هُولْدَر ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُحاوِلَ كَسْرَ ٱلطَّرَفِ ٱلْآخَرِ مِنَ ٱلتّاجِ ؟»

ظَهَرَتِ ٱلدَّهْشَةُ عَلى مُديرِ ٱلْبَنْكِ ، وَقالَ : «بِالتَّأْكيدِ لَنْ أُحاوِلَ .»

«إِذًا سَأُحاوِلُ أَنا .» وَفَجْأَةً حاوَلَ هُولْمز بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَنْ يَكْسِرَ طَرَفَ ٱلتّاجِ . لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ .

قالَ : «لَقَدْ شَعَرْتُ بِهِ يَتَحَرَّكُ قَليلًا ، لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ كَسْرَهُ ، رَغْمَ أَنَّ أَصابِعي قَوِيَّةٌ جِدًّا . وَلا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا يَسْتَطيعُ كَسْرَهُ . وَإِذا كُنْتُ قَدْ كَسَرْتُهُ ، لَنَتَجَ عَنْ ذٰلِكَ صَوْتٌ كَصَوْتِ طَلْقَةِ ٱلْمُسَدَّسِ . هَلْ سَمِعْتَ مِثْلَ هٰذا ٱلصَّوْتِ ؟ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ في مَكانٍ بَعيدٍ .»

قالَ هُولْدَر : «لَسْتُ أَدْري كَيْفَ أُفَسِّرُ ٱلْأَمْرَ .»

«ما رَأْيُكِ في هٰذا ٱلْأَمْرِ يا آنِسَةُ هولْدَر ؟»

«إِنّي في حَيْرَةٍ مِثْلَ عَمّي تَمامًا .»

قالَ هُولْمز لِهُولْدَر : «أَلَمْ يَكُنِ ٱبْنُكَ يَلْبَسُ حِذاءً عِنْدَما رَأَيْتَهُ ؟»

«لَمْ يَكُنْ يَلْبَسْ سِوى قَميصِهِ وَسِرْوالِهِ .»

«أَشْكُرُكَ ؛ أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلْأَمْرَ يُمْكِنُ حَلُّهُ بِسُهولَةٍ جِدًّا إِذا كُنْتَ تَنْوي مُساعَدَتي يا سَيِّدُ هُولْدَر . سَأَذْهَبُ ٱلْآنَ إِلى خارِجِ ٱلدّارِ مَرَّةً أُخْرى .»

– ٩ –

خَرَجَ هُولْمز بِمُفْرَدِهِ ، وَقالَ إِنَّ أَيَّ مَزيدٍ مِنْ آثارِ ٱلْأَقْدامِ قَدْ يَجْعَلُ عَمَلَهُ أَكْثَرَ صُعوبَةً . وَعِنْدَما رَجَعَ بَعْدَ حَوالَى ساعَةٍ ، كانَتِ ٱلثُّلوجُ تُغَطّي قَدَمَيْهِ ، لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ ٱلْكَثيرُ لِيَقولَهُ لَنا .

«أَعْتَقِدُ أَنّي فَعَلْتُ كُلَّ ما يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَهُ هُنا . سَأَعودُ ٱلْآنَ إِلى مَنْزِلي .»

«لٰكِنْ أَيْنَ آلماساتُ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟»

«لَسْتُ أَدْري .»

ظَهَرَ ٱلبُؤْسُ على وَجْهِ مُديرِ ٱلبَنْكِ وَصاحَ : «لَنْ أَراها مَرَّةً ثانِيَةً ! وَٱبْني ؟ ! هَلْ هُناكَ أَمَلٌ ؟»

«لَمْ يَتَغَيَّرْ رَأْيي .»

«ما ٱلعَمَـــلُ ؟»

«يَجِبُ أَنْ تُوافِقَ على أَنْ أُنفِقَ – لِأَجْلِكَ – مَبْلَغًا كَبيرًا مِنَ ٱلمالِ . فَإِذا وافَقْتَ ، وَحَضَرْتَ إِلَيَّ غَدًا في مَنْزِلي ، سَيَسُرُّني أَنْ أُخبِرَكَ بِما تَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ .»

إِستَطَعْتُ أَنْ أُدْرِكَ أَنَّ هُولمْز قَدِ ٱتَّخَذَ قَرارَهُ في ٱلقَضِيَّةِ ، لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَصَوَّرَ مادا يَدورُ في خاطِرِهِ . وَلَمْ يُحَدِّثْني في ٱلطَّريقِ إلى ٱلبَيْتِ .

ما إِنْ وَصَلْنا شارِعَ بيكَر ، حَتّى أَسْرَعَ إلى غُرْفَتِهِ ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ عِدَّةِ دَقائِقَ في زِيِّ شَحّاذٍ ، كانَ تَنَكُّرُهُ كامِلًا ، وَهُوَ يَرْتَدي مِعْطَفًا قَديمًا رَفَعَ ياقَتَهُ إلى أَعْلى ، وَوَضَعَ قَدَمَيْهِ في حِذاءٍ عَتيقٍ ، ثُمَّ قالَ لي : «أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا ٱلتَّنَكُّرَ سَيُساعِدُني كَثيرًا . كُنْتُ أُحِبُّ يا واطْسُن أَنْ تَأْتِيَ مَعي ، لٰكِنَّني أَرى أَنَّهُ مِنَ ٱلحِكْمَةِ أَلّا تَصْحَبَني . آمُلُ أَنْ أَعودَ بَعْدَ ساعاتٍ قَليلَةٍ .»

«بَيْنَما كُنْتُ جالِسًا أَتَناوَلُ ٱلشّايَ ، عادَ هُولمْز . كانَ يَبْدو راضِيًا تَمامًا ،

وَقَدْ أَمْسَكَ بِحِذاءٍ قَديمٍ في يَدِهِ . ثُمَّ أَلْقى بِالحِذاءِ في أَحَدِ ٱلأَرْكانِ ، وَتَناوَلَ قَدَحًا مِنَ ٱلشّايِ ، وَقالَ : «لَمْ أَنْتَهِ بَعْدُ ، وَسَأَخْرُجُ ثانِيَةً خِلالَ دَقائِقَ .»

«إلى أَيْنَ ؟»

«إلى ٱلجانِبِ الآخَرِ مِنْ لَنْدَن . قَدْ أَتَأَخَّرُ فَلا تَنْتَظِرْني .» سَأَلْتُهُ مُتَوَقِّعًا أَنْ يُخْبِرَني بِشَيْءٍ : «هَلْ حالَفَكَ ٱلحَظُّ ؟»

«نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ ذٰلِكَ . لَقَدْ عُدْتُ إلى شارِعِ سْتْرِيتام ، لٰكِنَّني لَمْ أَذْهَبْ إلى مَنْزِلِ هُولْدَر ثانِيَةً . إِنَّها قَضِيَّةٌ مُثيرةٌ جِدًّا يا واطْسُن . يَجِبُ أَنْ أَعودَ الآنَ لِارْتِداءِ مَلابِسي ٱلعادِيَّةِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ .»

– ١٠ –

لَمْ أَعْرِفْ مَتى عادَ هُولمْز مِنَ ٱلخارِجِ ، لِأَنّي ذَهَبْتُ إلى فِراشي قَبْلَ عَوْدَتِهِ وَفي ٱلصَّباحِ ، عِنْدَما دَخَلْتُ غُرْفَةَ ٱلطَّعامِ لِأَتَناوَلَ إِفْطاري ، وَجَدْتُهُ جالِسًا يُمْسِكُ بِإِحْدى يَدَيْهِ قَدَحًا مِنَ ٱلقَهْوَةِ ، وَبِاليَدِ ٱلأُخْرى صَحيفَةً . وَكانَ يَبْدو عَلَيْهِ ٱلنَّشاطُ .

دَقَّ جَرَسُ ٱلبابِ . وَعِنْدَما فَتَحْتُ لِأَرى مَنِ ٱلطّارِقُ ، إِذا بِمُديرِ ٱلبَنْكِ يَدْخُلُ إلى ٱلغُرْفَةِ . كانَ يَبْدو عَلَيْهِ ٱلتَّعَبُ وَٱلمَرَضُ ٱلشَّديدُ . قالَ : «لَسْتُ أَدْري مادا فَعَلْتُ في حَياتي ، حَتّى أَسْتَحِقَّ سُوءَ ٱلحَظِّ هٰذا . قَبْلَ يَوْمَيْنِ فَقَطْ كُنْتُ رَجُلًا سَعيدًا ، لا يُقْلِقُني شَيْءٌ في ٱلدُّنْيا ، لٰكِنَّني الآنَ لَمْ أَعُدْ كَذٰلِكَ ؛ لَقَدْ هَجَرَتْ ماري ٱلمَنْزِلَ !»

«هَجَرَتِ ٱلْمَنْزِلَ !؟»

«نَعَمْ ، لَمْ تَنَمْ في ٱلْمَنْزِلِ ٱللَّيْلَةَ ، وَقَدْ تَرَكَتْ لي رِسالَةً على مائِدَةِ ٱلبَهْوِ .» وَأَعْطى هُولمْز ٱلرِّسالَةَ ، فَقَرَأَ :

عَمِّيَ ٱلعَزيزُ :

أَشْعُرُ أَنَّ كُلَّ مَتاعِبِكَ سَبَبُها أَخْطائي . وَلَعَلَّني لَوْ كُنْتُ قَدْ تَصَرَّفْتُ بِشَكْلٍ مُخْتَلِفٍ ، لَما قابَلَتْكَ أَيُّ مَتاعِبَ . لَمْ أَعُدْ أَسْتَطيعُ ٱلبَقاءَ في مَنْزِلِكَ ، وَهٰذا ٱلخاطِرُ يُلِحُّ عَلى ذِهْني مُنْذُ فَتْرَةٍ ، لِذٰلِكَ قَرَّرْتُ أَنْ أَتْرُكَكَ إِلى ٱلأَبَدِ . لا تَقْلَقْ ؛ فَقَدْ تَمَّ تَأْمينُ مُسْتَقْبَلي . أَرْجو أَلَّا تَبْحَثَ عَنّي ، وَسَأَظَلُّ في حَياتي وَمَماتي

المُحِبَّةُ لَكَ دائِمًا

مـــاري

سَأَلَ هُولْدَر : «ماذا تَقْصِدُ ماري يا سَيِّدُ هُولمْز ؟»

«لا أَعْرِفُ ، لٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَهابَها فيه خَيْرٌ كَثيرٌ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ مَتاعِبَكَ سَتَنْتَهي قَريبًا جِدًّا .»

«هَلْ هٰذا رَأْيُكَ ؟ هَلْ وَصَلْتَ إِلى شَيْءٍ ؟»

سَأَلَهُ هُولمْز بِهُدوءٍ : «هَلْ أَنْتَ عَلى ٱستِعدادٍ لِدَفْعِ أَلْفِ جُنَيْهٍ عَنْ كُلِّ ماسَةٍ مِنْ ماساتِكَ ٱلثَّلاثِ ٱلَّتي فُقِدَتْ مِنَ ٱلتّاجِ ؟»

«لَقَدْ أَحْضَرْتُ عَشَرَةَ آلافِ جُنَيْهٍ .»

«لا ! تَكْفي ثَلاثَةُ آلافٍ فَقَطْ . هَيّا أَعْطِني إِيّاها .»

- ١١

عِنْدَما سَلَّمَ مُديرُ ٱلبَنْكِ ٱلنُّقودَ إِلى هُولمْز ، أَخْرَجَ ٱلمُخْبِرُ ٱلعَظيمُ مِنْ جَيْبِهِ قِطْعَةً صَغيرَةً مِنَ ٱلذَّهَبِ ، مُثَبَّتَةٌ بِها ثَلاثُ ماساتٍ ، وَوَضَعَها فَوْقَ ٱلمائِدَةِ .

صاحَ هُولْدَر في فَرَحٍ ، وَهُوَ يُمْسِكُ ٱلذَّهَبَ وَٱلماساتِ : «لَقَدْ وَجَدْتَها ! لَقَدْ نَجَوْتُ ! لَقَدْ نَجَوْتُ !»

قالَ هُولمْز بِشَيْءٍ مِنَ ٱلصَّرامَةِ : «لا تَزالُ مَدينًا بِشَيْءٍ آخَرَ يا سَيِّدُ هُولْدَر .»

قالَ هُولْدَر ، وَهُوَ يَتَحَسَّسُ نُقودَهُ مَرَّةً ثانِيَةً : «مَدينٌ ! أَخْبِرْني .. ما مِقْدارُ دَيْني حَتّى أُسَدِّدَهُ ؟»

«لا ، لَيْسَتْ نُقودًا ؛ ٱلأَمْرُ لا يَتَعَلَّقُ بي ، بَلْ يَتَعَلَّقُ بِٱبْنِكَ ٱلشَّهْمِ . لا بُدَّ أَنْ يَشْعُرَ بِمَدى أَسَفِكَ لِأَنَّكَ شَكَكْتَ فيهِ . لَقَدِ ٱلْتَزَمَ ٱلصَّمْتَ لِيُنْقِذَ ٱلفَتاةَ ٱلَّتي أَحَبَّها .»

«إِذًا لَمْ يَكُنْ آرْثَر هُوَ ٱلَّذي أَخَذَها ؟! أَواثِقٌ أَنْتَ مِنْ ذٰلِكَ ؟ يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ إِلَيْهِ في ٱلحالِ وَنُخْبِرَهُ بِٱلحَقيقَةِ .»

«إِنَّهُ يَعْرِفُها . لَقَدْ ذَهَبْتُ لِرُؤْيَتِهِ ، وَرَفَضَ أَنْ يُخْبِرَني بِما حَدَثَ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنا .»

«اِشْرَحْ لي بِحَقِّ ٱلسَّماءِ يا سَيِّدي : ما سِرُّ هٰذِهِ ٱلمَسْأَلَةِ ؟»

«مِنَ ٱلبِدايَةِ ، يَجِبُ أَنْ أُخبِرَكَ بِشَيْءٍ سَيُؤْلِمُكَ كَثيرًا . لَقَدْ هَرَبَتْ ماري مَعَ سِير جُورج بِرنْوِيل .»

«ماري ؟! مُسْتَحيلٌ !»

«هٰذا هُوَ ٱلواقِعُ . فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْتَ أَوِ ٱبْنُكَ أَنْ تَكْتَشِفا مِقْدارَ سُوءِ سُلوكِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي سَمَحْتُما لَهُ أَنْ يَدْخُلَ ٱلمَنْزِلَ . إِنَّهُ رَجُلٌ لا قَلْبَ لَهُ وَلا خَيْرَ فيهِ . لَقَدْ صَدَّقَتْهُ ماري عِنْدَما قالَ لَها إِنَّهُ يُحِبُّها . تَمامًا كَما صَدَّقَتْهُ فَتَياتٌ كَثيراتٌ قَبْلَها . لَقَدِ ٱعْتادَتْ أَنْ تُقابِلَهُ كُلَّ مَساءٍ .»

صاحَ مُديرُ ٱلبَنْكِ : «لا ، لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ هٰذا !» وَشَحَبَ وَجْهُهُ .

قالَ هُولمز : «سَأُخْبِرُكَ كَيْفَ تَمَّ أَخْذُ ٱلماساتِ . عِنْدَما ذَهَبْتَ إِلى فِراشِكَ ، ذَهَبَتْ ماري إِلى ٱلبَهْوِ وَفَتَحَتِ ٱلنّافِذَةَ ٱلواسِعَةَ ٱلمَوْجودَةَ بِهِ ، وَتَحَدَّثَتْ مَعَ سِير جُورج بِرنْوِيل ٱلَّذي كانَ يَقِفُ في ٱلخارِجِ . لَقَدْ رَأَيْتُ آثارَ قَدَمَيْهِ عَلى ٱلثَّلْجِ ، وَظَهَرَ بِوُضوحٍ أَنَّهُ ظَلَّ واقِفًا وَقْتًا طَويلًا ، فَقَدْ دَلَّتِ ٱلآثارُ عَلى حُدوثِ ضَغْطٍ شَديدٍ عَلى ٱلثَّلْجِ . فَقَدْ سَمِعَ مِنْ ماري عَنِ ٱلتّاجِ ، فَأَمَرَها بِأَخْذِهِ وَإِحْضارِهِ إِلَيْهِ . أَنا واثِقٌ أَنَّها تُحِبُّكَ حُبًّا صادِقًا ، لٰكِنَّهُ يُسَيْطِرُ عَلَيْها سَيْطَرَةً قَوِيَّةً . في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ، رَأَتْكَ وَأَنْتَ تَهْبِطُ ٱلدَّرَجَ ، فَأَسْرَعَتْ تُغْلِقُ ٱلنّافِذَةَ ، وَأَخْبَرَتْكَ بِوُجودِ ٱلخادِمَةِ بِالخارِجِ . وَكانَ ذٰلِكَ صَحيحًا .»

وَواصَلَ هُولمز حَديثَهُ : «كانَ ٱبْنُكَ آرْثَر قَدْ ذَهَبَ إِلى فِراشِهِ بَعْدَ مُقابَلَتِكَ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ بِسَبَبِ ٱلشِّجارِ ٱلَّذي حَدَثَ بَيْنَكُما . وَفي مُنْتَصَفِ

ٱللَّيْلِ ، سَمِعَ شَخْصًا يَمُرُّ بِهُدوءٍ خارِجَ بابِ غُرْفَتِهِ . وَعِنْدَما ٱسْتَطْلَعَ ٱلأَمْرَ ، كانَتْ دَهْشَتُهُ كَبيرَةً . فَقَدْ رَأَى ماري تَدْخُلُ غُرْفَتَكَ ٱلخاصَّةَ . عِنْدَئِذٍ ٱرْتَدى قَميصًا وَسِرْوالًا ، وَٱنْتَظَرَ في ٱلظَّلامِ يُراقِبُ ما قَدْ يَحْدُثُ .

«عِنْدَما خَرَجَتْ ماري مِنَ ٱلغُرْفَةِ تَحْمِلُ ٱلتّاجَ ٱلثَّمينَ ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ عَيْنَيْهِ ، فَتَبِعَها بِهُدوءٍ . وَهَبَطَتْ ماري إِلى ٱلبَهْوِ مَرَّةً أُخْرى ، وَفَتَحَتِ ٱلنّافِذَةَ ، وَسَلَّمَتِ ٱلتّاجَ إِلى شَخْصٍ يَقِفُ بِالخارِجِ ، ثُمَّ أَغْلَقَتِ ٱلنّافِذَةَ ، وَعادَتْ بِسُرْعَةٍ إِلى غُرْفَتِها .»

نَظَرَ شِرْلُوك هُولمز إِلى هُولْدَر مُتَسائِلًا : «ماذا كانَ يَسْتَطيعُ ٱبْنُكَ أَنْ يَفْعَلَ ؟ لَقَدْ كانَ يُحِبُّ ماري ، وَفي نَفْسِ ٱلوَقْتِ كانَ يَجِبُ أَنْ يُوقِفَ ٱلجَريمَةَ فَانْدَفَعَ إِلى ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ ، وَفَتَحَ ٱلنّافِذَةَ ، وَقَفَزَ مِنْها فَوْقَ ٱلثَّلْجِ ، حَيْثُ ٱسْتَطاعَ أَنْ يَرى شَبَحَ إِنْسانٍ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ . كانَ هُوَ سِير جُورج بِرنْوِيل . وَأَمْسَكَ بِهِ وَتَصارَعَ مَعَهُ ، وَجَرَحَهُ فَوْقَ عَيْنِهِ . عِنْدَئِذٍ ٱنْكَسَرَ ٱلتّاجُ ، وَٱسْتَطاعَ آرْثَر أَنْ يَسْتَرِدَّهُ وَيَعودَ بِهِ إِلى ٱلمَنْزِلِ جَرْيًا . وَدَخَلَ مِنَ ٱلنّافِذَةِ ، وَأَغْلَقَها ، وَذَهَبَ إِلى غُرْفَتِكَ ٱلخاصَّةِ . لَقَدْ كانَ يُحاوِلُ إِصْلاحَ ٱلتّاجِ عِنْدَما دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَوَجَدْتَهُ هُناكَ .»

هَمَسَ مُديرُ ٱلبَنْكِ : «هَلْ هٰذا مُمْكِنٌ ؟»

«لَقَدْ أَثَرْتَ غَضَبَهُ ، وَوَصَفْتَهُ بِأَنَّهُ لِصٌّ ، في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي كانَ يَرى فيهِ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مِنْكَ ٱلشُّكْرَ ، وَقَرَّرَ أَلّا يُخْبِرَكَ بِالحَقيقَةِ .»

صاحَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر : « إذًا فَهٰذا هُوَ سَبَبُ إغماءِ ماري عِنْدَما رَأَتِ ٱلتّاجَ ؟! يالي مِنْ غَبِيٍّ أعمى ! وَعِنْدَما طَلَبَ آرْثَر مِنّي أَنْ يَخْرُجَ لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ ، كانَ يُريدُ ٱلبَحْثَ عَنِ ٱلجُزْءِ ٱلمَفْقودِ مِنَ ٱلتّاجِ . كَمْ كُنْتُ قاسِيًا عَلَيْهِ ! »

قالَ هُولْمز : « لَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَما ذَهَبْتُ إلى ٱلحَديقَةِ آثارَ ٱلأَقْدامِ على ٱلثَّلْجِ . رَأَيْتُ أَقْدامَ آرْثَر بِغَيْرِ حِذاءٍ . وَرَأَيْتُ ٱلمَكانَ ٱلَّذي تَكَسَّرَ فيهِ ٱلثَّلْجُ بِسَبَبِ ٱلمَعْرَكَةِ ، وَرَأَيْتُ بِضْعَ قَطَراتٍ مِنَ ٱلدَّمِ ، وَهٰكَذا عَرَفْتُ أَنَّني على صَوابٍ في آسْتِنْتاجاتي .. لَقَدْ ظَهَرَتْ أَيْضًا آثارُ أَقْدامِ سير جُورج بِرنْويل حَتّى نِهايَةِ مَمَرِّ حَظيرَةِ ٱلخَيْلِ . كَما أَنَّ قَطَراتِ ٱلدَّمِ أَوْضَحَتِ ٱلأَمْرَ . »

– ١٢ –

« لَقَدْ أَخْبَرَتْني أَنَّهُ لا يوجَدُ أَصْدِقاءُ كَثيرونَ يَتَرَدَّدونَ عَلى مَنْزِلِكَ . وَأَذْكُرُ أَنَّكَ قُلْتَ إنَّ سير جُورج هُوَ ٱلوَحيدُ ٱلَّذي يَزورُكُمْ . لَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُ رَجُلٌ فاسِدٌ . وَقَدْ ذَهَبْتُ إلى مَنْزِلِهِ ٱليَوْمَ كَشَحّاذٍ ، وَطَلَبْتُ مِنْ خادِمِهِ بَعْضَ ٱلمَلابِسِ ٱلقَديمَةِ . وَكَمْ كُنْتُ مَحْظوظًا ، فَقَدْ أَعْطاني حِذاءً لايَزالُ مُبْتَلًّا ، كانَ سَيِّدُهُ قَدِ آسْتَغْنى عَنْهُ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ . كَذٰلِكَ أَخْبَرَني أَنَّ سير جُورج مَجْروحٌ فَوْقَ عَيْنِهِ . وَعِنْدَما أَخَذْتُ ٱلحِذاءَ إلى سْتريتام ، وَجَدْتُهُ يُطابِقُ آثارَ ٱلأَقْدامِ خارِجَ نافِذَةِ ٱلبَهْوِ . »

« عِنْدَئِذٍ وَجَدْتُ أَنَّهُ أَصْبَحَتْ أَمامي مُهِمَّةٌ صَعْبَةٌ .. كانَ لا بُدَّ أَنْ أَسْتَعيدَ ٱلماساتِ مِنْهُ . »

« لَقَدْ خَلَعْتُ ٱلمَلابِسَ ٱلَّتي كُنْتُ أَتَخَفّى فيها كَشَحّاذٍ ، وَذَهَبْتُ لِمُقابَلَةِ سير جُورج . وَقَدْ حاوَلَ في بِدايَةِ ٱلأَمْرِ أَلّا يَعْتَرِفَ بِشَيْءٍ ، لٰكِنْ عِنْدَما وَجَدَ أَنَّني أَعْرِفُ ٱلحَقيقَةَ ، تَناوَلَ عَصًا غَليظَةً وَآنْدَفَعَ نَحْوي ، وَقَبْلَ أَنْ يَضْرِبَني صَوَّبْتُ مُسَدَّسي إلى رَأْسِهِ ، عِنْدَئِذٍ وَجَدَ مِنَ ٱلأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِغَيْرِ عُنْفٍ . وَقَدْ قُلْتُ لَهُ إنَّني عَلى آسْتِعْدادٍ لِأَنْ أُعْطِيَهُ ثَلاثَةَ آلافِ جُنَيْهٍ مُقابِلَ ٱلماساتِ . وَوَعَدْتُهُ أَلّا يَسْمَعَ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ ٱلأَمْرِ بَعْدَ ذٰلِكَ . »

« ثُمَّ ذَهَبْتُ إلى آبْنِكَ آرْثَر أَزُفُّ إلَيْهِ هٰذِهِ ٱلأَنْباءَ ٱلطَّيِّبَةَ ، وَأَخيرًا عُدْتُ إلى فِراشي في ٱلسّاعَةِ ٱلثّانِيَةِ صَباحًا . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كانَ يَوْمًا حافِلًا بِالعَمَلِ ٱلشّاقِّ . »

قالَ مُديرُ ٱلبَنْكِ ، وَهُوَ يَنْهَضُ مِنْ مَقْعَدِهِ : « كانَ يَوْمًا أَنْقَذَ إنجلترا مِنْ عارٍ عَظيمٍ . سَيِّدي : لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَجِدَ ٱلكَلِماتِ ٱلَّتي أُعَبِّرُ بِها عَنْ شُكْري لَكَ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ أَعْمالِكَ ، لٰكِنَّكَ في ٱلحَقيقَةِ أَعْظَمُ كَثيرًا مِمّا سَمِعْتُ عَنْكَ . »

« يَجِبُ أَنْ أَعودَ ٱلآنَ فَوْرًا لِأَطْلُبَ ٱلصَّفْحَ مِنِ آبْنِيَ ٱلعَزيزِ . أَمّا فيما يَتَعَلَّقُ بِماري ، فَإنَّ قَلْبي يَنْفَطِرُ عَلَيْها ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ هِيَ ٱلآنَ ... حَتّى أَنْتَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَني أَيْنَ هِيَ . »

قالَ هُولْمز : « إنَّها سَتَكونُ حَيْثُما يوجَدُ سير جُورج بِرنْويل . وَسَيَكونُ هٰذا عِقابَ هٰذِهِ ٱلفَتاةِ ٱلمِسْكينَةِ . »

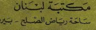


مغامرات شرلوك هولمز

١ ـــ العصابة المرقطة وقصتان أخريان

٢ ـــ النظارة الذهبية وقصتان أخريان




مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 401